

مَجْلَدُ الْعِلْمِ الْعَرَبِيِّ

إيلول وتشرين الأول سنة ١٩٤٤ شهر رمضان وشوال سنة ١٣٦٣

هل وفّت العربية بغرضها

إذا تدبرنا الفاظ الكتاب والسنة والفاظ الشعراء والخطباء وأمعنا النظر في بنية الكلام العربي منظومه ومثوره ، منذ كانت اللغة العربية لغة شعر وخطب إلى أن غدت لغة شريعة وأدب إلى أن درجت لسان علم وسياسة ، ثم نظرنا فيما أبانت عنه هذه الألفاظ وما تركب منها من اغراض ساذجة او مركبة - إذا تدبرنا كل هذا بعرض لنا سؤال يستلزم جواباً ، وهو هل وفّت العربية بما لني به لغة عظيمة خلال هذه القرون الطويلة ، ام عصت على القيام بالغرض المطلوب لما تم لها عهد الجاهلية ويقدر بمئة وخمسين سنة ، وقد خرجت من جزيرة العرب إلى الأقطار التي رحبت بالاسلام .

وعرفنا من سير هذه اللغة وسيرتها أنها كانت في جاهليتها وعالميتها سواء ، تؤدي المقاصد وتوفي على الغاية ، كانت كذلك وهي بمنزل عن العالم وكذلك صارت لما عرضت لها معان اقتضتها وضع الفاظ ومدلولات واصطدمت يوم امتزجت بالاجانب ومرت إليها لوثات اغلاطهم وأساليبهم ولهجاتهم كما مرت إليها طرق تفكيرهم واللهج بأساليبهم بالجدل والمناقشة .

العربية ما خارت قواها يوم أريدت على نقل علوم اليونان والفرس وغيرهم ، بل زادت قوة عندما ضمت الى متنها كلمات وكلاماً ما عرفها أبداً ابن الجاهلية ولا ابن الصدر الأول ، تبنت كل ما دخل عليها وما انكرته فعاد كأنه أصيل فيها غير دخيل عليها . وطريقتها أن تشتق من أصلها ما استطاعت اشتقاقه فتضع له لفظاً يقارب ما تقصد إليه من معنى ، وما لم تجد له في بحرها الطامي مقابلاً من الالفاظ تنحته او تشذبه حتى تقربه من ذوقها ، فاذا أعجزها كل أولئك اقتبست اللفظ كله

وان خالفت بعض حروفه حروفها ، وبعد بأسلوبه قليلاً من أساليبها . وهذا من بعض الأدلة على أنها مستعدة للتجدد غير جامدة ولا راكدة .

مضت اللغة على هذا النحو تقوى بانتشار العلم وتضعف بضعف أهلها ، والضعف بناها من زهد أبنائها في العلوم والتجانب عن دراسة الآداب دراسة تبحر . ولقد كاد يذهب من يشخص أعراض أمراضها زمان التراجع إلى أنها من اللغات الميتة المحكوم عليها بالانقراض فلا تلبث أن تكذب ظنون أعدائها وتعود فتنبه هبة جديدة ملؤها صحة ونشاط . ويرجع الفضل في إبلاها من اعتلالها أبدأ لاحتفاظها بكتابتها الكريم ثم لاستمساكها بآثار المجددين من بلغاء السلف .

قضت هذه اللغة في الاسلام نحو نصف حياتها في استعمال الاسجاع والجناسات فأوشكت أن تضع رشاقبتها بهذه البدعة في نسج كلامها ، وما زالت تهوي فتفسد ملكتها وتخرج عن طبيعتها حتى قبض لها آخر القرن الماضي من نسلها من سقطتها وعاد بها سيرتها الأولى من ترك التكلف والرجوع إلى الطبع . ورحنا نشهد كتابتها أشبه بكتابة القرن الرابع ، ونرى شعراءها ينحون مناحي شعراء الحضارة في العصر العباسي الأول والثاني ، ومن قرأ مقالة مما تنشره الصحف والمجلات او فصلاً من تأليف حديث صدر من قلم رجل درس العربية دراسة نظامية أو قصيدة من قصائد المعاصرين بدرك بأدنى تأمل كيف أخذ الكتاب والشعراء يحسنون رصف الكلام البليغ وبقدرون الألفاظ بقدر المعاني ، وكانوا إلى عهد قريب يصفون الألفاظ صفاً لا ينم عن ذوق وبكثرون من المترادفات ليتألف معهم السجع والازدواج وتستقيم القافية والوزن . أي ان اللغة آضت في النصف الثاني من القرن الأخير ورأس مالها الفاظ لا يعرف مالكوها كيف يتصرفون فيها . والألفاظ معها تنوق في اختيارها لا تبرز في قالب مقبول الا بمجودة التركيب ، فالبلغة في التركيب والفصاحة في تخير الألفاظ . ومهما حاول الكاتب احسان القوال لا يكون الا إلى التفاهة إذا كان المعنى في ذاته مبتذلاً مطروقاً . والمعاني كما قال العارفون صوغ العقل واللفظ صوغ اللسان .

وحاول في هذا العصر بعض المحذلقين الذين لم يعنوا بدرس أدب هذه اللغة ان (يفرنجوا) ألفاظها ونثرأ كتبها ، فعمدوا الى استعمال كل ساقط من اللفظ والتراكيب يعبرون عن أفكار لا تستسيفها أذواقنا ، يريدون بهذه البدعة ان يستروا نقصهم بدعواهم أن كتابتهم عصرية وشعرهم عصري وانهم يحبون اللغة الى أهلها بهذا الأسلوب الذي ادعوا له الرشاقة وما هو الا السماجة بعينها ، وكيف لعصري تصح دعواهم وهم ما درسوا الأدب العربي ولا الأدب الافرنجي يملون مالا يحصل له ويضيفون جملاً لو سألتهم تفسيرها لعجزوا وجمعوا .

حاولت غير مرة أن انفذ الى روح هذا الأدب المصري الذي حمله إلينا المفسدون فلا وربك ما تفهمته ، ولا تذوقته ، ورجعت بعد العناء ويدي شعريث بارد تجرد عن الشاعرية وخرج أحياناً عن الأوزان العربية ، لا موضوع له ولا مغزى ، وانقلبت بنثر لا ماء له ولا رواء خال من كل جزالة معقد غامض لا يصدر مثله الا عن يهذي . هذا أدب هؤلاء القوم الذي صدعوا به الرؤوس وعتبوا على دهرهم أن كان المقبولون عليه أقل من القليل . ولقد قرأنا أدب الافرنج فأعجبنا به واستفدنا منه وقرأنا طائفة من أدب الأمم الأخرى منقولاً الى لغة الافرنج فهدينا به الى اشياء كثيرة اما هذا الأدب المصري فمصرناه عصرأ متيناً فما رأينا له بلة ولا طلاوة ، وحرنا وقد ازعجتنا دعوى ادعيائه وعلقهم في أي رف ندحسه وفي اي كوة ندسه .

انهم يحاولون ان يأتونا بلغة يبتدعونها على هواهم ويرغموننا على ان نشابعهم بأنها لغة عربية ، والفصحى يخالف روحها ذلك ويأباه ، العربية ترذل من يعقها ويزعم انه باربها ، العربية خلقت كما قال العلامة رنان كاملة من اول نشأتها خلافاً لاكثر اللغات التي كان الايام يد في تكلمها ، تكيفها حاجة الناطقين بها وبعمل الزمن في تنميتها . وقد جرت لغتنا منذ عرفت على نظام واحد وجاءت تامة بصيغها ومبانيها نتجدد بالمعاني التي تدخل عليها والألفاظ التي تستدعيها تلك المعاني .

ولقد رأينا ادب العرب في الأندلس والغرب كأدبهم في فارس والشرق لا تفاوت

ينبغي في القواعد والروابط والألفاظ والتراكيب اللهم إلا أن كانت هناك مسحة انت من بعض صور المعاني المتبعثة من علم المؤلف أو الكاتب أو الشاعر ومصطلحات اقليمه وعادات أهله . وهذا لأن المصادر التي يستقي منها أهل الخافقين واحدة وما حدثت نفس أحد أبناء اللغة أن يخرج عنها قيد أغلة وأن يخرج أجماع العارفين الذي تسلسل أكثر من خمسة عشر قرناً . ولو لم تصب العربية بمصيبة التكلف والاسجاع لكانت صور الأداء في القرون التي سبقت الاسلام كصورها في القرون التالية إلى يوم الناس هذا . كانت الألفاظ إذا لوحظ فيها الابتذال في بعض العصور بضعف ملكة الأدب يقوم أناس يرجعونها إلى محبتها المرسومة ويحيون من معالمها ما تعود به أشد رصانة وبيعثون من شواردها وفصحها ما أماته الجهل وقلة العناية .

نعم كانت اللغة إذا مرضت حيناً من الزمن لا تلبث أن تبرأ بظهور أساة من البلغاء يكشفون أسرار فقهاء ويقومون مناد الألسن والأفلام ويتوفرون على «التوسع في علم اللغة خاصة» لنكتة الألفاظ عند «من يطلب الترسل وقرض الشعر وعمل الخطب» «وليعرف العلوي من الكلام فيستعمله والعامي فيتيه ويحتمه»

وجاء عصر منع الفقهاء في بعض الأقطار العربية قراءة التفسير زاعمين أن بقراءة تفسير القرآن يموت السلطان وما يموت في الواقع إلا الجهل ، وما حاول العابثون بذلك إلا إبقاء الناس في عماية والتزلف من السلاطين . ويستحيل على من لم يحفظ القرآن ويتدبر معانيه وينظر في أحكامه أن يحوز منزلة في البلاغة وعلوم الشرع ، وهذه العلوم لا يتقنها من ليس له حظ من الكلام العربي وهل القرآن إلا كتاب ادب العرب كما هو كتاب شريعتههم ؟ وفرق بين فقه يدونه فقيه بكون على شيء من تذوق البيان ، وفقه يكتبه فقيه ليس من البلاغة على عرق ، وهكذا الحال في سائر العلوم . ولو كتبت جميع علوم الاسلام بلغة بليغة ما استلزم تحصيلها الأعوام الطويلة .

وما خلد ما كتبه نصارى العرب وغيرهم من أرباب النحل الذين ظهروا في عصر الاسلام الذهبي أي في القرن الثالث والرابع من الهجرة إلا لأنهم كانوا يدرسون

القرآن على انه المصدر الأول في إحكام اللغة العربية ، ولا نخل إلا بأبي اسحق الصابي وحنين بن اسحق ويحيى بن عدي ممن كتبوا تأليفهم مؤمنين ببلاغة القرآن وان لم يؤمنوا به ايمان المؤمنين من اهله .

وبعد ان دخل الفساد على اللغة اواخر القرن الأول للاختلاط بالأعاجم غدا اهل اللسان يتعلمون لسانهم في الكتب ويتخرجون بجهالة اساتذته تخرجاً لمناظرة العامة والابقاء على الفصحى . ومن قعدت به الهمة عن اختيار الجيد من المفردات والجيد من المركبات فهو العلي كل العلي ، وان قضى اعواماً في درس الصرف والنحو والبيان والبديع .

ما اللغة الا مفردات وقوالب لا دساتير وتعليلات ، وكم من حافظ للقواعد عاجز عن البيان العجز كله ، وما نخال الجاحظ وابن المقفع حفظاً من مطولات النحوم حافظه بعض علماء النحو وما كان الأحمدا ان احمد بن يوسف الكاتب واحمد بن يوسف المعروف بابن الداية كابن المعتز والعسكري في معرفة الجناس وزخارف البديع ، وثقوا ان ابا تمام والبحري والمتنبي ما عرفوا علم العروض كما عرفه اقل العروضيين ، وان القاضي علي بن عبد العزيز وتلميذه عبد القاهر الجرجاني ابدعا ببيانها ما لم يبدع بعده من وضعوا قواعد هذا الفن . ولو حصر اهل البلاغة قرأتهم في الحدود الضيقة التي حددها البيانيون لما ارضوا أنفسهم ولا ارضوا الأدب ، ولرجع هذا للسان القهقري فأجذب بعد الخصب ، وشعب بعد النضرة . لا جرم ان اللغة كانت تضعف اذا ظن الأمانة عليها ان حفظ القواعد وحدها مما يقيها عوارض الانحلال كانت اللغة وافية بحاجة أهلها إذا كان المنتدبون لتغذية عقول بنيتها على جانب من المحافظة على الرسم الذي وضعه البلغاء يجهدون جهدهم في تنمية ثروتها من الألفاظ والمعاني ، مراعين حالة جسمها وروحها ، وجسمها الفاظها وروحها معانيها . واذا كان معظم اللغات الأوربية يشتق من اللاتينية واليونانية ما يعوزه من الألفاظ الجديدة فان العربية تستقي من مادتها الثرة التي لا يكاد ينضب معينها على الدهر .

والى هذا ما كانت العربية لغة بداوة حتى يوم كانت لا تعرف غير الجزيرة

موطننا ، بل خصت على اختلاف الأزمان بدقة التصوير ووجازة التعبير فبرزت لغة حضارة تقبل اصناف المعاني بقدر ما يتسع له صدرها وتشد اليه حاجتها . ولو كانت العربية لغة بادية جافية جاسية ماوقفنا في المعلقات السبع وغيرها من الشعر الجاهلي على اخيلة عجيبة ، وحكم بارعة ، ومعان لا تنصد الا عن مجتمع يتسامى ببلاغته ويزدهى بأدبه . وفي معلقة زهير بن ابي سلمى مثال ظاهر يؤيد هذه الدعوى وهل يتأتى ان يقول مثل هذا الشعر الا رجل شاهد ما شاهد فوصف ما وقعت عينه عليه ؟

وهذا ما يحدونا على ان نؤكد انه لا عيب في اللغة بل العيب في الدارسين لتخلفهم عن اعطائها استحقاقها من التمهيد كما يبذل طلاب اللغات الاجنبية جهداً فائقاً لا تقاها . ورأينا في القديم أهل فارس وخوارزم يترزون في تمثل آداب العرب حتى كادوا يبدون اصحاب هذا اللسان أنفسهم ، وجاء منهم بلقاء عزة نظيرهم في العرب الاقتحاح . وأتى الترك بعد الفرس فكانوا عنهم جداً مقصرين ، يصرف مشايخهم اعمارهم في دراسة العربية ولا يفصحون بها . وما عرفنا منهم على طول أيامهم وهي ستائة سنة كاتباً جزلاً ولا شاعراً فحلاً بلغة العرب ، على حين يعد بلقاء الأعاجم بالملئد ، والسبب في هذا النقص فساد طريقة التعليم عندهم على ما نظن .

واكثر ما خلفه الترك من آثارهم بالعربية بدور على التفسير والفقه والكلام والتاريخ والنحو والصرف والبيان وبعضه لا يخرج من المعجمة ويوشك ألا يفهمه الناظر فيه إلا بناء وجه . وكل من طالت عشرته لكتبهم يدخل الضم على بيانه العربي ولو كان عربياً بحتاً . نعم كانت معظم من تعلموا العربية من قدماء الأتراك لا يحسنون النطق بها ولا يقولون على سبك جملة مقبولة خلافاً للأعاجم من علماء المشرقيات اليوم فان في وضع المتوسط من المستعربين منهم ان يكتب جملة مفهومة وينطق بها على وجه الصحة وربما كان في فهم النصوص بمكان لا يقل عن ابناء عدنان وقحطان .

ولقد رأينا الهنود والأفغانيين يتقنون العربية ويكتبونها برشاقة تكاد توازي رشاقة البلغاء من ابنائها الخالص ويعترفون ضمناً ان اللغة الأوردية والأفغانية ولغة الملايو لا تنسج لما يتسع له صدر العربية ، ولذلك كانوا يعتمدون على اللسان

العربي في التأليف ، وندر في الفرس من كتبوا تأليفهم بالفارسية وكانوا يفاخرون بوضع تأليفهم بالعربية ، ولولا أن رنت في العالم نغمة القوميات في القرن الماضي فحاول أهل كل جنس أن ينشروا لسان بلدهم عادين ذلك من الوطنية ، لرأيت الفرس والهنود والأفغان والأتراك والجاوبين والصينيين وغيرهم يكتبون إلى اليوم تأليفهم بالعربية خصوصاً وبعض لغات الأعاجم ليست من الألسن المكتوبة كالطاغستانية والجر كسنية والسودانية والكردية والبربرية ويحاول دعاة قوميتها مع هذا أن يضعوها الآن معاجم وقواعد لتصبح لغة مكتوبة كما هي لغة محكية^(١) ومنذ القرن الرابع قال أبو هلال العسكري ولا نعرف اليوم علماء جاهلياً ولا اسلامياً الا وأهله عرييون ومتعربون يكتبون باللفظ العربي والخط العربي . وقال أبو الريحان البيروني : والهجو بالعربية أحب إليّ من المدح بالفارسية وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل إلى الفارسي كيف ذهب رونقه وكسف باله واسود وجهه وزال الانتفاع به اذا لا تصلح هذه اللغة (أي الفارسية) الا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية . وقال في مناسبة أخرى : وإلى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدادت وحلت في الأفئدة وممرت محاسن اللغة فيها في الشرايين والأوردة .

روى حمزة الأصفهاني في التنبية على حدوث التصحيف عن علماء الآزادمرديّة أي الأحرار أنهم ألفوا جميع لغات الأمم في الكنية على ما كانوا ناطقين بها وعلى الجبلّة في بدء التكوين لا تتولد فيها الزيادات وأنهم وجدوا العربية على الضد من سائر لغات الأمم لما يتولد فيها مرة بعد أخرى وإن المولد لها قرائح الشعراء الذين هم أمراء الكلام بالضرورات التي تمر بهم في المضائق التي يدفعون إليها عند حصر المعاني الكبيرة في بيوت ضيقة المساحة . فإن كان هؤلاء الأحرار يقصدون بقولهم هذا غمز اللغة العربية من طرف خفي وبعدون من ضعفها إن يضع لها الشعراء الفاظاً

(١) راجع في كتابي « الاسلام والحضارة العربية » الفصل الذي عقده لذكر مواطن العربية وانزها

جديدة فهو عند العارفين كمال لها ، ذلك لأن التوليد والاشتقاق والتعريب في اللغة دليل حياتها لا موتها وقوتها لا ضعفها .

والغالب ان احرار فارس نسوا يوم رموا العربية بهذه السبة ان لغتهم في القرون الاولى للاسلام كانت جافة خلوها من الألفاظ العربية فاضطروهم نقصها الى ان فتحوا بابها على مصراعيه لقبول الالفاظ العربية ، فأصبح القدر الذي دخل الفارسية من العربية اكثر من الألفاظ الفارسية الأصلية فيها . وهكذا الحال في لغة الترك ولغة الاوردو والملايو وغيرها من لغات الشرق . فلا قبول هذه اللغات ألوفاً من الألفاظ العربية مما بعد نقصاً فيها ولا سراية الدخيل والمولد الى لغتنا مما يحسب عليها . وقد قال ابو حيان التوحيدي ان اللغة جارية على التوسع كما هي جارية على التضييق ومن ناحية التضييق فزع الى التحديد والتشديد ومن ناحية التوسع جري على الاقتدار والاختيار .

لاجرم ان العربية من أوسع اللغات وفيها من الخصائص التي بقل ان تشاركها فيها لغة شرقية ، وفي تعلمها تنافس المسلمون على تباين عناصرهم وعصورهم مأخوذون بسحر القرآن على ما أخذ به بلقاء العرب العرباء .

محمد كرد علي

(١) اللغة العربية وسكان الأندلس

في القرون الوسطى

La langue arabe et les habitants de l'Andalousie au Moyen âge

ان جزيرة الأندلس في القرون الوسطى وخصوصاً في القرن الخامس تنقسم الى قسمين الأندلس النصرانية والأندلس الاسلامية .

فالأندلس النصرانية عبارة عن قطعة مستطيلة تمتد في شمال الجزيرة وتشمل على بعض مقاطعات ككاتالونيا ونابرة أي بلاد البشكونش وجليقية . وأما الأندلس الاسلامية فهي تشتمل على بقية الجزيرة أي على أكثر من أربعة أخماس من الجزيرة . وهي تظهر لنا من جهة السياسة على حالة بلاد الفرس في زمان دولة الأرساسيين بعد انحلال امبراطورية الأكينيين . ولقد كانت بلاد فارس في تلك الأيام منقسمة الى دويلات متعددة يسميها المؤرخون « طوائف » وقد قال ابو الفداء في « كامله » ان عددها يبلغ تسعين طائفة . ويحكم فيها ملوك لا يرتبطون بالسلطة المركزية إلا بعلائق ضئيلة . فقياساً على ما كان عليه بلاد الفرس سمي المؤرخون « ملوك الطوائف » أولئك الملوك الذين استقلوا استقلالاً في جزيرة الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية بقرطبة في ابتداء القرن الخامس .

فتكونت حينئذ نحو عشرين دويلة يحكم فيها ملوك أصلهم عرب او برابرة او صقالبة . فالمسلمون العرب يحكمون في قرطبة واشبيلية ، وفي لاردة وسرقسطة ؛ والمسلمون البرابرة في غرناطة ومالطة وروندة ومورور وقرمونة وطليلطة وبطليوس والسهلة ؛ والمسلمون الصقالبة في المربة ودانية وجزيرتي ميورقة ومنورقة .

هذه هي الحالة السياسية في جزيرة الأندلس في القرن الخامس . وان ملوك الطوائف ليست لهم الا قوة نسبية يجارون بعضهم بعضاً من غير أغراض معينة ، شأن أغلب الملوك الذين يستولون على الحكم ويقسمونه بينهم حسب الفرص والمصادمات بعد انحطاط السلطة المركزية وانحلال قوتها .

(١) محاضرة ألقاها المذموق الفرنسي الأستاذ پيريس بالجمع العلمي العربي في ١٢ مايس سنة ١٩٢٢

ليس غرضنا عرض الاسباب التي أفضت بالخلافة الى تلك الحالة ، ولكن
 بهمنا درس الحركة الثقافية في ذلك الزمان زمان ملوك الطوائف بالأندلس .
 نعم تزدهر في بلاطات أولئك الملوك مها كان أصلهم حياة أدبية عقلية عربية محضة .
 وأن شهرة الأديب تهمهم أكثر من سمعة قائد الجيش . فكل ملك من ملوك
 الطوائف غابته القصوى ان يُعتبر بلاطه مجلساً بل مجمعاً يجمع أئمة الشعراء وأبلغ
 الكتاب ويجدر بنا ان نُضيف وأكبر مفكري الجزيرة . وفي الواقع لم يُرَ قط
 في الأندلس الاسلامية أكثر أدياء من ملوك ووزراء وغيرهم . فلا يحصى عددهم
 ولا توصف مزاياهم . فتاهيك من شاهد « فلان العقيان » للفتح بن خاقان و « البديع
 في وصف الربيع » لأبي الوليد الحيري . ولا سيما « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة »
 لابن بسام الشنبري و « الحلة السراء » لابن الأثير .

وهناك أمر جدير بالاعتبار وهو ان الشعوب التي تسكن الأندلس مختلفة
 جداً من مسلمين - وفيهم عرب وبرابرة وصقالبة - الى نصارى ويهود ولكن الثقافة
 واحدة وهي عربية محضة . فجميع العناصر مولعة باللغة العربية . فهذا يجب علينا
 معالجته بالتفصيل فنقول :

ان العرب الغزاة في أول الفتح أصلهم ، في الأغلب ، من مدينة النبي ﷺ .
 فيهم أنصار ومهاجرون ، انضم بعضهم طوعاً في الجيوش الزاحفة الى إفريقية فالأندلس ،
 وانخرط بعضهم في أثناء الحوادث التي وقعت بالحجاز والشام وخصوصاً بعد معركة
 مشهورتين وقعة الحرّة في شمال المدينة ووقعة مرج راهط في الشام . في هذه الوقعة
 الأخيرة قتلت قبيلتان مضادّتان : بنو قيس من معد ، وبنو كلب من اليمن . وتغلبت
 بنو كلب على بني قيس ومنذ تلك الوقعة أضمرت بنو قيس لبني كلب إحقاً حملتهم
 على قن مستمرة . وهاجر عددٌ كثير منهم الى الأندلس على حسب نجاحهم في
 الشرق أو إخفاقهم فيه .

في أثناء تلك الحوادث دخلت الأندلس فرقة عظيمة من البايين المقيمين بالشام
 وذلك ان الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بعثهم الى إفريقية لإطفاء فتنة نشبت

نارها هناك . فوصلوا الى سبتة (Ceuta) وهي فرضة بقرب زقاق جبل طارق . وبعد حوادث لا حاجة لنا الى ذكرها أبحرت الجنود الباليون ببناء والى الأندلس عبد الملك ونزلت بالساحل الأندلسي .

وحينئذ طارت من جديد فتن بين المعديين والباليين الى ان انتصرت جنود الباليين . فاستوطنت النواحي الجنوبية التي استقرت فيها فيما بعد . فأقام جند دمشق بالبيرة أي غرناطة وناحيتها ، وجند الاردن برية أي مالقة ومقاطعتها ، وجند فلسطين بمدينة شذونية والجزيرة الخضراء ، وجند حمص بإشبيلية ولبلة ، وجند قنسرين بجيات .

وأما جند مصر فاستوطن باجه وتدمير اي عمل مرسية . وهنا يحسن بنا استطراد من ذلك الحين شاع على ألسنة الناس إطلاق كلمة دمشق على غرناطة وحمص على اشبيلية . وقد قال ابن سعيد المغربي في المغرب : « يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة العربيات لمخافتهن على المعالي العربية » . وقال الشقندي في رسالته : « غرناطة دمشق بلاد الأندلس ، ومسرح الأبصار ومطبخ الأنفس . . . ولم تغل من أشراف امائل وعلاء اكابر وشعراء أفاضل » .

ولما فر عبد الرحمن الأموي الملقب بالداخل من الشرق بعد استيلاء العباسيين على الأمر ووصل الى الأندلس وفاوض المعديين والباليين ، أخفق مع الأولين واتفق مع الباليين الذين صاروا أنصاره الوفيين وأعانوه على تأسيس أمره بالأندلس . وفي أيام ملوك الطوائف اضمحلت تماماً الإخن والضغائن بين هؤلاء وأولئك ولكن بقيت مميزاتهم الأخلاقية عند أعقابهم . فان المعديين يمتازون بغيرتهم وحماسهم على الذود عن حوض الدين ولهم نخوة ما مع كرم الشيم وسخائها .

وأما الباليون فقد اضاعوا طباعهم الحربية فصاروا ليني الجانب ذوي تسامح وأظهروا عاطفة ما الى العناصر غير العربية .

وأما ما يخص بالآداب فان الفرق بينهم غير واضح ، فعقلهم وإحساسهم استويا بتأثير إقليم وبيئة مخالفين لجزيرة العرب ولا سيما بفضل حياة جديدة بين أهال قد أثروا فيهم بمخالطتهم إياهم . إذاً اصل مسلمي الأندلس من اعرق قبائل العرب

وأشرفها ولكن هناك عرب آخرون أصلهم غير هولاءك . فلما استتب الأمر للأمويين ورسخت أقدامهم في أرض الأندلس وازدهرت خلافتهم حتى ذاع صيتها إلى الشرق ، قدم الأندلس عددٌ كثيرٌ من الشرقيين . والقت المراكبُ مراسيها بالمربة ودانية وبلنسية وقد اقلعت من مرافئ مصر والشام . فمنهم تجار وصناع ومنهم شعراء وأدباء ومغنون . وقليل جداً من كان يكرُّ راجعاً إلى وطنه لما بُذِلَ لهم من حفاوة في الاستقبال ومراتب ومناصب ، وهدايا وعطايا . وذلك كله يحملهم إلى استيطان بلاد الأندلس وربما تلحق بهم أسرهم بعد مدّة .

وعلى هذا الطريق ازداد شيئاً فشيئاً عدد العرب في الأندلس وقويت عوائدهم وأخلاقهم وتزعاتهم بفضل أولئك المهاجرين من الشرق إلى الغرب . وقد خصص المقرئ في كتابه القيم المعنون « بنفح الطيب » باباً طويلاً لآلهم الراحلين الوافدين على الأندلس وهو الباب السادس ولا شك أنه من امتع أبواب الكتاب . من جملة الداخلين أبو علي القالي وصاعد اللغوي .

وهنا يسأل سائل : أين ينزل الشرقيون ؟ فلا ريب أن جنوب الجزيرة التي يطلق عليها كلمة L'Andalousie خاصة هي الكعبة التي تشد إليها الرحال فتجلب جميع الوافدين إلى الأندلس لأن مدينتيها قرطبة واشبيلية من أكبر وأزهر مدن الدنيا وأبهى أمصارها . وهنا يوجد بنو عباد وبنو جهور من ملوك الطوائف . وبظواهر قرطبة قبيلة عربية اسمها بنو بلي قد حفظت عوائدها الخاصة كما كانت في جزيرة العرب ولغتها الفصيحة على أحسن حال ، هذا ما يفيدنا به ابن حزم الظاهري في كتاب « جمهرة أنساب العرب » .

ومن جهة الغرب في مقاطعة شلب توجد قبائل يمانية وفي المربة بنو نجيب من كندة . وفي عمل بلنسية أعقاب الأنصار من أوس وخزرج . وفي جريقة حصن مسمى بحصن الأشراف يعزى إليهم . وبنو فهر في شاطبة وبلنسية ودانية . وبنو معافر مشهورون أيضاً ببلنسية منهم القاضي ابن الجحاف الذي ورد ذكره مع السيد كبيادور (Le Cid Campeador) . وبنو واجب لهم عدد لا يُهان ببلنسية وجزيرة

شرق ودانية واربولة وألش • وبنو قضاة في أندية • ونذكر أخيراً قبائل العرب في ناحية مرقسطة منها بنو نجيب •

وبديهي أن أولئك العرب أتوا بلغتهم الفصحى وهي لغة الحكومة الرسمية وحدها • وعلى رجال الحكومة أن يتكلموا ويكتبوا بها • وعلى الوزراء والكتاب أن يهروا إلى الغاية في الكتابة والكلام بها •

لا حاجة لنا إلى سرد فحولة الشعراء وبلغاء الكتاب في القرن الخامس • فكتاب الفتح بن خاقان المحلي بعنوان « قلائد العقيان » حافل بأساميهم ونخب آثارهم فللباحث عنهم أن يراجعهم •

وأما البرابرة فأصلهم من شمال إفريقية • وهم كثيرون في الجيوش التي فتحت الأندلس واخترقت جبال البيرينية Pyrenées وتوغلت في أعماق فرنسا حتى بلغوا مقاطعة لا تورين (La Touraine) من جهة الغرب وطلعو إلى عين نهر لاسون (La Saône) من جهة الشرق ودخلوا جبال لاسافوة (Savoie) وبلاد سويسرا (Suisse) وشمال إيطاليا •

وقد ظلت الحرب سجالاً بين المسلمين والنصارى فرجعت الجيوش إلى جبال البيرينية واستقرت بعضها بلاردة ومارقسطة وليون واسطورقة تشن الغارات على النصارى واستوطنت بعضها ناحيتي بطيلوس وطليلة وأسست بها مملكتين نرى لزماً أن نخصص لها كلاماً إجمالياً •

فطليلة عاصمة مملكة يحكم فيها أسرة ذي النون التي كان جدّها يسمى طوريل من قبيلة هواة القاطنة إلى الآن بشمال إفريقية • وأفراد تلك الأسرة الملكية يتعاطون العلوم الرياضية فرصاد طليلة مشهور في أيامها وفيها بعدها • وروى لنا المؤرخون الثقات أن القادر أخير ملوك طليلة لما ألزم إلى مغادرة عاصمته سؤلت له نفسه أن يحمل معه آلة واحدة يقدرها تقديراً بالغاً وهي أسطرلاب • ومع هذا ذاع صيت ملوك طليلة بثروتهم وبذخ ملكهم ولا سيما فيما يخص الإغدارات أي الولائم والمأدبات التي تقام بمناسبة الختان • وضرب المثل بالإغدار الذئبوني لما فيه من البهاء والأبهة •

وأما بطليوس فهي عاصمة مملكة بني الأفطس الذين أصلهم أيضاً من شمال إفريقيا ، من قبيلة مكناسة . ولقد تعرّبوا لغة وأخلاقاً منذ استقروا بالأندلس . فلا نرى اقنع دليل من ان نذكر ملكاً من ملوكهم وهو المظفر . وكان مولعاً بالأدب ، فصيح اللسان ، قوي المعارضة . وطالع كتباً جمّة في اللغة والنحو والشعر وال نوادر والأخبار وإيام العرب ، وانتخب منها جوهرها ووضع منها كتاباً جامعاً لكل الآداب الجميلة ، سمي باسمه فقالوا له « المظفري » وهو في الحقيقة عبارة عن دائرة معارف ، موضوعها الأدب والتاريخ في خمسين جزءاً . وقد ضاع لسوء الحظ ولم يبق منه الا فقرات متفرقة في كتب شتى .

وابن المظفر : المتوكل ، كان أديباً متفتناً ، له لباقة في صناعة الشعر والنثر . هنا يجدر بنا ان نتساءل : ماذا صار لهؤلاء البرابرة في آخر القرن الخامس وفي اثناء القرن السادس اي في عهد المرابطين والموحدين ، بعد فتح النصارى لطليطة و بطليوس . لا شك ان اكثر السكان المسلمين هاجروا الى الجنوب واستقروا في مقاطعات غرناطة ومالقة وشمال افريقية . واما الباقي منهم وهم الأقل فلم يبرحوا قراهم وضياعهم واعتنقوا النصرانية كرهاً . ولعل المراقاطوس (Maragatos) الذين يسكنون الى يومنا هذا في الجنوب الغربي من مدينة اسطورقة (Astorga) في بقعة مقفرة لا طائل للاقامة فيها هم نسل المسلمين القاطنين هناك في القرن الخامس . وهؤلاء المراقاطوس قد حفظوا لباسهم الخاص الذي لا فرق بينه وبين البرابرة الموجودين الآن في ديار مراکش . وزيادة على ذلك فانهم يخلقون رأسهم الا انهم يتركون خصلة قصيرة من الشعر تتدلى على القفا ، شأن اغلب المراكشيين في يومنا هذا . وهم وان نسوا لغتهم الأصلية فلا يتكلمون بعدد اللغة الاسبانية المحضة . فالأرجح انهم من اعقاب اجداد مسلمين ينتمي تأريخهم الى القرن الخامس . فيما عدا مملكتي طليطة و بطليوس فملكنا السهلة و غرناطة جديرتان بالذكر . فالسهلة واقعة وسط ممالك مرسطة و طليطة و بلبسية ودانية . يحكم فيها ملك ضعيف الشأن مع انه ماهر في السياسة ، وربما اقتحم قطره جيرانه المعتدون

عليه لسبب ما، وبينهم السيد الكيهاور ولكنه يرى من طالع سعدة ان يعيش سالماً مطمئناً في زُمرة فتيان يندَوقون الشعر وما يتعلق به .

واما مملكة الجنوب فتشتمل على ناحيتي غرناطة ومالقة ويحكم فيها أميران : حبوسُ وباديسُ بن حبوسُ . واصلها من شمال افريقية ، لايهمها الا الحرب . وبدبهي ان لا يقدر الشعر حق قدره ، وينفر الادياء والشعراء من بلاطها الى ان خلفها الأمير عبد الله وحينئذ صارت غرناطة مركز حركة فكرية على رأسها الأمير نفسه .

بقي لنا ان نذكر عنصراً قليل العدد ولكنه عظيم الشأن والنفوذ ، ألا وهو العنصر الصقلي فأول وال بل خليفة أموي استخدم الصقالبة في الأندلس هو عبد الرحمن الناصر فقاموا في اول الأمر بخدمات منزلية ثم ارتقت حالهم حتى قاموا بوظائف مهمة في القصر الملكي او خارجه ولعبوا دوراً سياسياً في أخير القرن الرابع وابتداء القرن الخامس . وزاد عددهم الخلفاء بعد عبد الرحمن الناصر واستند عليهم المنصور بن ابي عامر في سياسته وعهد اليهم بخطط سيفية كانت او قلمية .

وهنا قد يسأل سائل : من اين جاء هؤلاء الصقالبة . فلقد تجالفت الآراء في أصلهم ولا ريب انهم في اول الأمر صقالبة ، يمحصر المعنى اي اصلهم من بلاد « السلاف » بشرق أوروبا فيما يُعبر عنه الآن بـ « روسيا » على المعنى العام . وكانت الشعوب الجرمانية تُغير على تلك النواحي فتسرق الرجال والنساء والبنين ، وتبيعهم الى سكان الأندلس . ثم بعد مدة أطلق اسم الصقلي على كل أجنبي أبيض الوجه استخدم في حرم الأمراء او في الجند . وقد قال ابن حوقل الذي سافر الى الأندلس في القرن الرابع : « ان بلد الصقالبة طوبل فسيح والخليج الآخذ من البحر المحيط بنواحي ياجوج وماجوج يشق بلدهم ويسمر مغرباً الى نواحي اطاريزندة ثم الى القسطنطينية ويقطع ناحيتهم بنصفين : فتصف بلدهم بالطول يسببه الخراسانيون والنصف الشمالي يسببه الأندلسيون من جهة جليقية وافرنجة وانكبردة وقلورية » .

وكانت أربابهم اذا لاحظوا فيهم استعداداً خاصاً للأدب والثقافة ، ربوم تربية توافق مواهبهم وعلوهم العلوم الثقيلة كأنهم من أولادهم . وآل الأمر الى

ان بعض الصقالبة أثروا بوظائفهم العالية واقتنوا بدورهم خدماً كثيراً وابتاعوا كتباً مختلفة الفنون وملأوا بها مكاتب عظيمة . وصاروا هم من جملة الأدباء والمفكرين . وقد كثر عددهم حتى ألف أحد منهم اسمه حبيب في أيام الحكم بن عبد الرحمن الناصر كتاباً يجمع فيه اشعارهم ليبرهن ان الصقالبة لهم استعدادات طبيعية كسائر العرب للنظم والنثر ، وعنوانه : « كتاب الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة » ، وقد عاث فيه الزمان ولم يبق له أثر بعد عيان .

هذا ما يخص بالأدب . واما من حيث السياسة فان الصقالبة قد استقلوا بشرق الأندلس وأسسوا مملكة في دانية وجزيرتي ميورقة ومنورقة . وحاول بعضهم ان ينشئ دولة في بلنسية ، غير انه لم يلبث ان تغلب عليه بنو هود من مرقسطة وبنو عامر اولاد المنصور بن ابي عامر .

معلوم ان المسلمين من عرب وبرايرة وصقالبة ، لا يكونون وحدهم سكان الأندلس . فيجانبهم أهل الكتاب من نصارى ويهود . ويحسن بنا ان نعرض لحالهم الاجتماعية والادبية على وجه إجمالي لنقتنع بأنهم على غير ما نظنه باديء بدء .

قد أطلق على النصارى الأندلسيين اسم « مزاراب » (Mozarabes) وهو مشتق من « استعرب » كأنهم استعربوا بمخالطتهم العرب وسرى ان ذلك صحيح بدلالة مؤرخهم أنفسهم . انهم يعيشون كسائر أهل الدمة تحت إدارتهم المدنية الخاصة . فواللهم اسمه القوندي (Condé) بعينه الخليفة . وقد اشتهر القوندي مرفاندو (Servando) بقرطبة والقوندي تودو (Toddo) بقرطبة (Coïmbre) ويحكم القوندي بين النصارى بالمرافعة الثانوية والسنسور (Censor) هو الذي يحكم بالمرافعة الابتدائية . واما الدفنسور (Defensor) اي المحامي فيقيم بقرطبة ويحامي عن أهل دينه قدام الخليفة . واما الجنائيات والجنح والمخالفات التي تقع بينهم وبين المسلمين فترفع لدى الحاكم الاسلامية .

وكان المزاراب يجتمعون في حارات وأحياء على حدة ولكنهم يخالطون المسلمين كل يوم ويعاملونهم في الشؤون المعاشية ويلقون لغتهم كما هو بديهي ،

وبتعرّبون بل يستعربون بلا ريب ويختارون اللباس العربي ويفضلونه على اللباس النصراني ويتخذون لأنفسهم كفىً وأسامي وألقاباً عربية .

وعندنا وثيقة تقرّر ان النصراني المزاراب قد تعمقوا في التعرّب وذلك منذ القرن الثاني . فان نصرانياً اسمه ألفارو (Alvaro) من قرطبة متوفى في منتصف القرن الثاني للهجرة بصريح بكل صراحة في كتابه المعنون بـ « الدليل اللامع » (Indiculus luminosus) الذي كتبه باللاتينية ، ما يلي : « ان اخواني في الدين يولعون بمطالعة القصائد والروايات العربية ويدرسون مؤلفات الفقهاء والفلاسفة المسلمين ، لاشأن الرد عليهم بل ليضطلعوا بالنطق العربي الفصيح وبالكتابة البليغة . وأين نجد اليوم نصرانياً كفتاً بقراءة النفائس للكتب المقدسة ؟ من فيهم يدرس الاناجيل وكتب الانبياء والحواريين ؟ يا للأسف ! جميع فتيان النصارى الذين يمتازون بنبوغهم لا يعرفون الا اللغة والآداب العربية ويطالعون ويدرسون برغبة زائدة ، الكتب العربية ويملاؤون بالنفقات الباهظة مكنتات عظيمة وبعثون في كل مكان ان هذه الآداب عجيبة كل الإعجاب . غير انهم اذا ذكرت لهم الكتب النصرانية جاوبوك ان تلك الكتب غير جديرة باهتمامهم . ان النصارى أهملوا لغتهم حتى نسوها تماماً . وفي الف منهم تجدد بالكذب والمشقة واحداً يعرف ان يحرّر رسالة الى صديق على ما يقتضيه القواعد النحوية . وبالعكس اذا فنشت من يكتب بالعربية وجدت عدداً جماً منهم يعبرون بهذه اللغة بأحسن رشاقة ورأيت انهم ينظمون قصائد أفضل ، من حيث الصناعة ، من اشعار العرب أنفسهم » .

لقد صحّ ما قال الكاتب اللاتيني الفارو (Alvaro) . فان النصارى بعد طول احتكاكهم بالعرب ولما رأوا في المسلمين من التسامح وعلو الهمة قد بلغوا الى درجة انهم يتكلمون بل يفكرون في العربية ويعرضون عن اللاتينية التي صارت غير مألوفة لهم .

ان الفارو المذكور أعلاه قد ألمّ بثلاث لغات : اللاتينية والعربية والعبرية . وقبله اشتهر نصراني آخر اسمه جوان الاشبيلي (Juan Hispalense) وهو سعيد

المطران الذي ورد ذكره في الكتب العربية فألف تفسيراً بالعربية على «التوراة» وترجم الأناجيل من اللاتينية الى العربية .

وهنا يحسن بنا ان نلفت الأنظار الى مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية بدريد ، فيه مجموعة من القوانين والقرارات الباباوية ينتمي تاريخه الى القرن الثالث الهجري في ختامه اشعار عربية على حسب القواعد العروضية الصحيحة . وصاحبها خوري اسمه فسنتي (Vicente) وتضيف الى ذلك ان إهداء الكتاب الى المطران عبد الملك (كذا) محرر بالنظم الفصيح .

وفي أيام عبد الرحمن الناصر يضع المطران ريسموندو (Recemundo) المسمى ربيع بن زياد عند العرب ، تقوياً بالعربية بترجم فيما بعد ولعل المترجم هو جيرار دي كريمون (Gérard de Crémone) المشهور .

وفي القرن الخامس قل جداً عدد النصارى المزاراب بالأندلس ولقد أسلم أكثرهم وابدلوا اسامي عربية من اساميهم النصرانية وقيل نجد ألقاباً نصرانية تدل على اصلهم . فصيرتهم البوتقة العربية رجالاً عربيين لساناً وعاطفة .

اما اليهود فعم أهل كتاب كالنصارى . تمتعوا من ابتداء الفتح العربي بحرية ونساح يخالفان تماماً السياسة القوطية التي شعارها الظلم والاعتداء . وبفضل هذا النساح وهذه الحرية تحسنت حالة اليهود مادياً ومعنوياً ولا سيما بقرطبة في أيام عبد الرحمن الناصر . فلا يعنينا ما قد حققوا في ميدان التجارة والصناعة بل غرضنا ان نسط علائق الحركة الفكرية اليهودية بالثقافة العربية . فنقول اختصاراً :

ان يهود الأندلس الى منتصف القرن الرابع ، من حيث ثقافتهم ، تابعون للأكاديمية البابلية الشرقية التي مركزها بسوار (Sora) . ولكنهم في هذا الزمان شاءت المقادير ان تعينهم على تأسيس مدرسة يهودية بقرطبة . وذلك ان عدة احبار من اليهود ركبوا البحر المتوسط فأمرهم أمير الاسطول الأندلسي بأمر الخليفة عبد الرحمن الناصر . وأتى بهم الى قرطبة . ففدت الأمة اليهودية القرطبية اثنين منهم رغبة منها في إبقائهما بالعاصمة الأندلسية . وهكذا وجدت مدرسة قرطبة اليهودية حبرين علامتين لإدارتها واستئناف الدروس التلمودية بها . ومن حسن

الحظ أتيح لها أن وجدت محامياً متنوراً مثقفاً في نفس النظامي التحرير حسداي ابن شبروط الذي تخصص بخدمة الخليفين : عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم . وقد استعمل نفوذه وأمواله لتحسين حالة اليهود وإزهار الآداب اليهودية وإعطاء المكاتب الأندلسية جميع الكتب التي نُشرت بالشرق . وحينئذ تكاثر عدد اليهود وعمرُوا مدينة خاصة وهي لوسينة (Lucena) بمقربة من غرناطة . واحترفوا بالتجارة والأدب والديبلوماسية واتخذوا بقرطبة بعض مشخصات العرب مثل لباسهم ولغتهم وأخلاقهم . ولكن خلافاً لما ننتظره لم يتسع نطاق اللغة العبرية لأن الثقافة اليهودية في تلك الأيام مدينة للغة العربية من حيث المبنى أو بعبارة أوضح : فالمعنى يهودي والمبنى عربي . وإليكم بعض الأمثال فيما يخص القرن الخامس .

هذا ابن جناح الفخوي المؤسس الحقيقي للنحو العبري : كتابه الرئيسي «التقيح» مكنوب بالعربية .

وهذا ابن جبرون الذي يسميه العرب : أبا أيوب سلمان بن يحيى . فكتابه في الفلسفة المعنون بـ «عين الحياة» محرر بالعربية متأثر جلياً بالنظرية الفلسفية لابن مسرة القرطبي المتوفى سنة ٣١٩ = ٩٣١ وصلة فكر ابن جبرون بالعرب واضحة كل الوضوح حتى في أقصر مؤلفاته التي حررها كلها بالعربية ، منها كتاب في النحو يتأسف فيه — كما سبقه في ذلك الفارو القرطبي — على إهمال إخوانه للغة العبرية ويعبر عن اليهود السرقسطيين بـ «الأمة العمياء» ويؤنب بعضهم لأنهم يتكلمون بالإدومي (iduméen) بالعجمية الأندلسية ، وبعضهم لأنهم يستعملون الكيدار (kedar) أي اللغة العربية ومنها منتخباته التي جمع فيها ما اقتبس من الفلاسفة اليونانيين والحكماء العربيين من أمثال وحكم ، وكلها مكتوبة بالعربية .

وهذا باهية بن باكدوا المعاصر لابن جبرون وكتابه «واجبات القلوب» الذي يظهر فيه تأثير المذهب الأخلاقي للغزالي هو أيضاً محرر بالعربية .

ثم هذا مومي بن عزري الشاعر الغرناطي الذي عرض في كتابه : «قلادة الجواهر» للحب وبنت الحان واللحن على غرار العرب وبالعربية . وكثيراً ما نعثر في

أشعاره على المحسنات العربية مثل التجنيس والمطابقة وكتابة : « المحاورات والمذكرات » .
عبارة عن رسالة يعالج فيها صناعتي الشعر والنثر ويبسط فيها تاريخ الأدب الشعري
اليهودي بالأندلس مع المقارنه بين الشعر الامرائيلي والشعر العربي . وكل ذلك
باللغة العربية الفصحى .

واليكم دليلاً آخر وهو يهودا هالوي النظامي الطليطلي . يكتب بأسلوب عربي
أنيق وأشعاره حافلة بأبهي الأوصاف الطبيعية . ومؤلفه الرئيسي هو « كتاب الخزري »
الذي هو عبارة عن قصة فلسفية بالعربية موضوعها اعتناق ملك الخزر للدين الامرائيلي
في القرن السابع للمسيح . وقد صارت فيما بعد مثلاً حذا حذوه بعض المؤلفين
النصرانيين باسبانيا اكبرهم رامون لول (Ramon Lull) .

وبعد فقد طال مرد حججتنا على انتشار اللغة العربية وآدابها بين اليهود الاندلسيين ،
وفي الاطالة ملالة ، ولكن نطلب من فضلكم ان تسمحوا لنا بأن نُدليَ بدليل
أخير ألا وهو ابن ميمون الذي عاش في القرن السادس . كتب رسالته في « الردة »
(Apostasie) بالعربية ، وبالعربية أيضاً كتب كتابه المعنون بـ « التبيين »
(Elucidation) ورسالته في « التعزية » (Consolatide) على الامم الامرائيلية
اليمنية ، وكتاب « القوانين » (Lois) ولا سيما « مرشد الضالين » (Guide des
Egarés) الذي هو حقيقة موسوعة فقهية فلسفية للحلة اليهودية يحاول فيها ان
يوافق بين العقل والايمان .

هذا ويجانب هؤلاء اليهود الذين بقوا على دين اجدادهم ، مع ميلهم الى الثقافة
العربية ، بحسن بنا ان نذكر اليهود الذين اسلموا اسلاماً خالصاً واشتهروا بالأدب
العربي . وهم الذين بنعتون بصفة الاسلامي غالباً وفي بعض الأحيان : باليهودي او
الامرائيلي . واسم ابن سهل الامرائيلي الشاعر في الموشحات مشهور في القرن السابع .
واما في القرن الخامس الذي نحن بصدده فيجد خمسة أدباء يجدر بنا ذكرهم وهو

ابن سداري وابن القروي وسموئيل بن نغريلة وبوسف بن نغريلة وابن حسداي .
ابن سداري المكفي بابي بكر هو وزير ملك السهلة : عبد الملك بن رزين .
وقال في شأنه صاحب « نفع الطيب » (ط . لندن ج ٣ ص ٣٧٧) :

«كان للملك المذكور وزير من أعاجيب الدهر وهو الكاتب ابو بكر بن سدراي وذكره الحجازي في المسهب وقال: إن له شعراً أرق من نسيم السحر، واندى من الطلّ على الزهر» .

وأما ابن القروي فهو حسبما ورد في «الدخيرة» لابن بسام (مخطوط ج ٣ و ١٧٣ ظ) الملك من ملوك الطوائف لم يذكر اسمه . وله كاتب مسلم : ابو الحسين بن الجدة ، وبين الوزير وكاتبه نوادر تدلّ على تضامها من اللغة العربية .

والمثل الأمثل لإجادة الاسرائيليين في الآداب العربية هو سموئيل بن نغريلة . وقد أجمع الأدباء الأندلسيون على ان ابي نغريلة هذا وزير ملوك غرناطة قد ألمّ بدقائق اللغة العربية وخصائصها واعترفوا به كاتباً عبقرياً . وعلاوة على ذلك كان سخي النفس جزيل العطايا للشعراء والأدباء ، ويحمد فيه فطنته وذكاؤه .

وأما ابنه يوسف بن نغريلة فكان مجيداً ، كآتيه في النظم والنثر العربيين ولكن لا يعرف كآتيه يجلب القلوب اليه بإحسانه ودعته فأثار فتنة قضت عليه .

وبقي لنا ذكر ابن حسداي وزير ملكي مرسطة المقتدر والمستعين . وله الخطوى الكبرى عندهما وكان لا يغادرهما أبداً لحاجتهما اليه ويرافقهما في سفرهما ويشار كهما النزهات بالزّوارق على نهر الإبره (Ebre) . فهو التذمّ الأدب الذي يلهي صاحبيه بأشعار مرثجة ونكت ظريفة . ومن اكبر الدليل على تقدير المستعين له ما حكاه الفتح بن خاقان سيف فلائد العقيان انه لما احتفل بزفاف بنته الى الوزير ابي بكر بن عبد العزيز عهد الى ابن حسداي بقرير الرسائل لدعوة الاعيان والاكابر الى العرس .

مما أسلفنا نستدلّ جلياً ان اللغة العربية هي المثل الأعلى للغة الأدبية في القرن الخامس . فان جميع الشعوب والعناصر في الأندلس تستعملها برغبة أكيدة لا منازع فيها . فبدويها ان المسلمين يتكلمون بها ويكتبون بها ويعبرون دائماً عما يخالج انفسهم نظماً ونثراً . فاللغة من مقومات الناس في كل زمان ومكان . وأما ما يخص بالأندلسيين غير المسلمين من نصارى ويهود فغريب بآدي بدء استعمالهم اللغة العربية .

فان للنصارى المزاراب اللغة اللاتينية وللـيهود اللغة العبرية وهاتان اللغتان أدبيتان كاللغة العربية . ولا يمكننا الا ان نتساءل اى سبب يحملهم الى دراسة اللغة العربية وتفضيلها على غيرها .

هل هي الفائدة او المصلحة الشخصية ؟ فلا شك ان المصلحة الشخصية من أهم الأسباب النفسية التي تدعو الإنسان الى الحركة والعمل . وان الوظائف المهمة والمناصب العالية لا تعهد ، على ما يظهر في القرن الخامس ، الا الى من يضطلعون بالعربية ويجيدون تحرير رسالة بالنثر الفني ويرتجلون الأبيات المفعمة بالإشارات التاريخية والتلميحات الأدبية ويؤلفون بديهة من غير روية تهنئة او دعوة وينظمون ، اذا سخطت الفرصة ، مدحاً للتقريب أو رثاءً للتعزية . وان تعطى المناصب العليا المسلمين فالخطط الثانوية تؤزَّع على كل السكان مهما كان دينهم ، لا يُراعى في ذلك إلا الأهلية والكفاءة . وهذا أوضح دلائل على سيرة العرب الفاتحين مع الأهالي المفتوحين قوامها التسامح العام .

وهنا يسأل سائل : لماذا النصارى واليهود لا يصرون على استعمال لغتهم الأدبية الخاصة ودراستها ولم الحرية في إقامة شعائر دينهم بلغتهم — في حدود أمر عمر بن الخطاب المختص بالدينين — ولم الاذن من قبل الخليفة أو الملك في انعقاد « كونسيلات » أي مؤتمرات دينية يناظرون فيها باللغة اللاتينية أو العبرية مسائل تتعلق بشؤونهم الشخصية ؟ إذا المصلحة ليست وحدها سبب اهتمامهم باللغة العربية واستعمالها إياها في تناول مواضيع نظرية معنوية كانت أو فلسفية .

يجب علينا أن نلتبس سبباً آخر لا يمت الى المصلحة بصلة وهو ان اللغة العربية في القرن الخامس نظهر للشعوب جمعاء القاطنة بالأندلس اللغة الوحيدة التي تشفي غلة الشاعر أو الفيلسوف — بثروتها ومرونتها ، نعم اللغة الوحيدة التي تقدر ، باتساع نطاق مفرداتها وتفنن تراكيبها النحوية ، وجزالة ألفاظها من أصيلة ودخيلة ، على ان تعبر عن أدق العواطف وأعلى الأفكار وذلك لأن لغة العرب ، لغة قریش والقبائل العربية في العروبة ، قد بلغت ، في القرن الخامس ، الى كمال لا يتجاوزها فيما بعد .

ان الشعر في القرون الثلاثة الأولى قد غير ومرّ ثراث العصر الجاهلي وأفسح مجال الشعر الذي ازدهر في صدر الاسلام . فتحضر بعد ان كان بدوياً ، وبتأثير المدنية الحضرية والأخلاق التمدنية والحياة النعيمة التي ذاعت في البلاطات الملكية بدمشق ولا سيما بغداد ، قد تر شيئاً فشيئاً ما بقي فيه من خشونة وواقعية . وانسجم ايقاعه وتناسق تقطيعه . وعلاوة على ذلك تفنن في أغراضه كأنه لا يقبل ما قد فرض عليه من بيان ضيق وبديع حرج . وزعم على ان يصور عواطف وأحوالاً نفسية وتزعّت كادت تجهل في الجاهلية وفي صدر الإسلام . وبكلمة واحدة صار إنسانياً أكثر وأدق .

وقبل كل شيء ، فانه لفت أنظاره الى الطبيعة فهر في رسمها وتصويرها لا يكتفي بجمع خطوط وأدهان مادية محضة تكون شبه لوحة يابسة غير كاملة لا تظهر فيها حياة ولا يبرز فيها الا ألوان منفردة لا تخلو على كل حال من رشاقة ما . وانه يحاول ان يرسم إطاراً حيث تأتلف الأدهان بعضها ببعض وتقوى بعضها إشارة الى المهمّ الممتاز وتعين كل العناصر على تكوين لوحة تحقق الحياة فيها ويمجد الانسان فيها محله الطبيعي

وتحول الشعر في المبني والمعنى ناتج من عمل الشعراء الذين يشرفون على التاريخ الأدبي كأنهم نجوم زهر تلمع نوراً وتسطع شرراً وهم :

بشار بن برد العبقرى الأزى العقلية ، وأبو نواس ، فرلين (Verlaine) صدر العصر العباسى ، ومسلم بن الوليد ، الملقب بصريع الغواني ، وأبو العتاهية ، شاعر الزهد التشاؤمي ، وأبو تمام والمجتري وابن الرومي ، هؤلاء الثلاثة الذين جدّدوا الأغراض القديمة ، وابن المعتز ، الرسام الأنيق الدقيق للطبيعة ، وأبو الطيب المتنبي ، أمير الشعراء ، فيكتور هوغو القرن الرابع ، وابن هاني الأندلسي العبقرى المتوفى في عنفوان قدرته ، ولا سيما « أبو العلاء المعري » الشاعر البصير الحكم الأكبر المعاصر للقرن الذي نحن بصدده .

هذا شأن الشعر في القرن الخامس .

وأما النثر فهو على وجه عام تأسيس القرون الثلاثة الأولى فوجوده في الجاهلية مشكوك فيه . ويحاول أن يتكهن في صدر الإسلام لأنه لغة الخطب أكثر منه لغة الرسائل والكتب . ثم يشعر بقدرته في زمان عبد الحميد الكاتب وابن المقفع اللذين يستاهلان أن يعتبروا مؤسسيه الحقيقيين . ثم يجيء ابن مقبة ويمرته مع أنه يبقّي له صبغته العربية الخالصة . وأما الجاحظ فيفسح المجال للنشر في ميادين شتى ويعالج به مواضيع متفنتة . وفي زمان المأمون ومن تبعه من الخلفاء العباسيين يمتصّ النشر في الترجمات من اليونانية ماء ينمي وينعش ليعده على إثمار خصب ويبلغه إلى مقداره المنطقي "الكلامية" ويصيره آلة كاملة للتعبير أدق الأفكار بواسطة المتكلمين والفلاسفة وأمرأاء البيان .

وفي القرن الخامس نفسه يعرف الشعراء والكتاب الأندلسيون كاتبين معتبرين في الشرق ألا وهما الغزالي والحريري . فالغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ هو حجة الإسلام صاحب المؤلفات العربية في المعاني الفلسفية الدقيقة ، والحريري المتوفى سنة ٥١٥ (خمس عشرة وخمسمائة) هو صاحب المقامات ذات الأسلوب الفائق الخلاب .

إذن ماذا يعوز الشعوب الأندلسية ولديها أكل آلة للتعبير عن أفكارها الحديثة أو الهزلية ؟ فقد برهنّا أنّها تكثرت من استعمالها على أحسن حال . فاللغة العربية تظهر لغة شبه عالمية تبشر فيما يخص الأندلس بازدهار الأدب والفلسفة والتاريخ في القرن السادس مع ابن باجة وابن طفيل وابن رشد وفي القرن الثامن مع لسان الدين ابن الخطيب وابن خلدون .

هنري بربيس

فضل العرب على علم الحيوان

- ٢ -

١٠ - الأَخِيضِر

الأخضر ، بصيغة التصغير هو المسى بالانكليزية Eider وهو ضرب من بط البحر من جنس صوماتريه Somateria وموطنه الربوع الشمالية من اوربة واميركة وهو مشهور بريشه اللين الناعم الذي يكسوه . واسمه أيضاً البط الأخضر . والأخضر الأيركي S. dresseri والأخضر الملكي S. spectabilis والأخضر ذو النظارات Arctonella Fiseheri هي أصائل هذا النوع .

وقد أزعج لغويو الانكليز الأبدَر Eider الى لغات السكان الذين في شمالي اوربة كالاسكندنياوية ، والاسلندية ، والسويدية ، والدانيركية ؛ أما نحن فنظن انها من الأخضر تصغير الأخضر وقد سمي به بعض الأشياء ، والأخضر عند العرب يطلق على الأسود أيضاً . ومسمى بذلك لان الريش الأسود الذي يعلوه هو أقل من الريش الأبيض .

ولان البحر يوصف بالخضرة ، وهذا البط يلزم البحر ، لا يكاد يفارقه إلا في النادر ، فالأبدَر تصحيف الأخضر وتخفيفها ، على رأينا

١١ - الأَرَقَش

اصل هذه الكلمة ، انه كان عند اليونانيين امير صاحب مدينة اسمها (ارقش) من مدن بلاد اليونان ، وكان له مئة عين - على ما يرويه رواية اساطيرهم - وكان خمسون من هذه العيون لا تغمض البتة ؛ فأوعزت اليه يونون ، زوج بويتر (بويتر او يهووانر هو المشتري) اب يحرس (بو) ، ابنة ايناخس التي مسخها بويتر عجلة ، فتمكن مركوريوس (عطارد) من تنويمها حاقاً التنويم ، على صوت مزماره ، ثم قطع رأسها . فبثت يونون عيونها على ذنب الطاووس . فاشتهر الارقش عند الاقدمين ، من يونان ورومان ، وكذلك عند الكتبة المحدثين من أبناء

العرب ، بمعنى الرقيب المكروه المزج . وهو الذي يرمز اليه العرب ' بالجعل ، فانهم يقولون : « سَدِّكْ به 'جعلُهُ' » أي لزم الرقيب صاحبه لزوماً مكروهاً مزججاً .

اما اليوم فيريد العلماء بالارقش طائرین ^(١) : الأول : فراشة مرقشة حينما تكون أسروعا ^(٢) وفراشة . والثاني : طائر مجاور للتدرج ، وهو مرقش مبرقش ، ويكون مسكنه شرقي الهند ، والنوع المشهور يسمى عند العارفين بالعجاوات Argus gigantues أي الارقش الكبير ، ويمتاز الذكر منه بريش طويل بديع مرقش في جناحيه وذنبه ، والنوع الثاني يسمى بلغة العلم A. Gryi وهو الارقش البرنوي .

والظاهر ان فقهاء لغتنا عرفوا أسروع الفراشة وسموها الرقشاء بتقدير دويبة . قال ابن مكرم : « الرقشاء دويبة تكون في العشب : دودة منقوشة مليحة ، شبيهة بالخطوط » اه : فهذا وصف أسروع الفراشة . قلنا : ويبقى اسمها عليها وان اسلخت فراشا . فانفق وصف العرب مع وصف بني الغرب اتفاقاً عجيباً لكن العرب سبقوا الافرنج في هذا بمئات من السنين .

وأما الطائر فانه لم يعرفه العرب لبعده عن ديارهم ولو عرفوه لسموه أيضاً ارقش

١٢ - الفسَاء او المُنْقِي والنوري

الفسَاء هو الظربان الاوربي والاميري . واسمه بالفرنسية والانكليزية Vison وهو يطرد عدوه بان يخرج ريحاً منثنة ولم يهتد الباحثون عن الحيوانات الغريبة الى أصل هذا الحرف مع ان هذا الأصل واضح لكل من له أدنى إلمام بلغتنا . واسمه العلمي Putorius vison أي الظربان الفسَاء ومن اسمائه الانكليزية Minx وهو من العربية (مُنْق) لانه 'ينقي' المكان إلقاء اي يطهره من اعدائه بالوسيلة التي أشرنا اليها ، ومن اسمائه في اللغة المذكورة Nurik وهو من العربية (نوري) واحد النور ، لهذا الجليل المشهور بالمهانة ، والفأل ، والقذارة . فالفساء سمي بذلك لقذارته ووسخه ، فهو بين العجاوات كالنور بين اجيال الناس على اختلاف قومياتهم .

(١) الطائر عند العرب كل ما يطير ، فالذباب ، والنحل ، والزناجر ، كلها طيور . (راجع المخصص في كتاب الطير) . وكذلك الوزى les oiseaux طيور (راجع لسان العرب في وزي)

(٢) الاسروع هو الفراشة حينما تكون دودة وبالفرنسية chenille وبالانكليزية caterpillar

ويتخذ من هذه الدابة فراء نفيسة .

١٣ - الصاف

الصاف (بتشديد الآخر) وبالا انكليزية Sappho نوع من أنواع عديدة من الطيور الصغار المتلاثلة الألوان المعروفة بالذبايات لصالها ، وموطنها اميركة الجنوبية . وهي من جنس الصافات البديعة الاصباغ والامعائنها ، والمتباعد انفراج الذنب ، وتسمى أيضاً النارية الذنب ، وهي تصف في طيرانها ومنها اسمها . وأما الافرنج فانهم لم يتفقوا على سبب تسميتها بهذا اللفظ .

١٤ - الشعشاع

الشعشاع في اللغة : الطويل واللبق والخفيف والحسن ويراد به هنا ضرب من بقر وحش الهند أو طيائرها يسمى بالا انكليزية Sasin وباللاتينية العلمية مامعناه الطي الباذهري antilope bezoartica والطي العنز الأبي A. cervicarpa وهو مشهور برشاقته وحسنه وخفة حركته وجماله الفتان ، وله قرنان طويلان ملويان ومتباعدواحد عن الآخر .

١٥ - الصمصع

الصمصع وزان مهدد وجعفر : طائر ابرش يأخذ الجنادب . وهو ضرب من الزرازير اسود الرأس والمنق والجناحين وما بقي منه « أبرش » أي احمر وردي وهو الذي يسميه العراقيون السممر وبعضهم يقول سمرمد (أي براء في الآخر وبدال أيضاً) وله عدة اسماء أخر في العربية واسمه بالفرنسية Etourneau rose وباللاتينية Pastor roseus وبالا انكليزية Rose coloured starling وانما ذكرته هنا لأن بعضهم وسم وظن انه المسمى بالا انكليزية Sora وهو غلط شنيع .

١٦ - العنقاء

ليس الكلام هنا على عنقاء مغرب ، انما الكلام على طائر طويل العنق ، والعنقاء في لغتنا مؤنث الأعنق وهو الطويل الجيد . وعرف بهذا الاسم الخالي من كل صفة ، او اضافة ، او قيد ، طائر أنواعه المعروفة أربعة . والعنقاء بالا انكليزية anHINGA

و Snake bird اي طير الحية لشبه عنقه بالثعبان بالطول والتلوي ، وهو من طيور الماء من السباجات Plotus ، وله بعض الصلة بالجمع وغراب الماء ، الا انه يمتاز عنها بطول العنق ، ودقته ، وسرعة ليه ، ويتنقار حاد .

والعنقاء الاميركية هي المعروفة عند أهل هذا العلم باسم Plotus anHINGA أو AnHINGA وتسكن في جنوبي البلاد المتحدة من أميركة والديار الاستوائية من تلك الأجزاء . ومن اسمائها الانكليزية Darter اي الوثابة و Water turkey اي الغرغر المائي . والنوع الآسوي يسمى A. melanogaster اي العنقاء الأسود البطن ، وموطنه جنوبي آسية وشرقيها ، وشرقي الهند . وهناك نوعان آخران يابيان الى كل من افريقية واسترالية .

١٧ - أبو الصون

أبو الصون هو حيوان من ذوات الأخرجة ، وسمي كذلك لوجود صون (أي ما يُصان فيه الشيء) عند أسفل بطن الأنثى تصون فيه أولادها . واسمه باللغات الغربية Opossum وقالوا : هذه الكبة من لغة هندية أميركية ويزبدوا على هذا القدر ، مع ان الأصل العربي المضري العدناني واضح لكل ذي عينين ولا شبهة فيه . وهو حيوان من ذوات الأخرجة من الجنس المسمى عند علمائهم Didelphys و Chironectes أي ذوات الرحمين والمقذافية اليد .

والنوع المشهور هو الذي يعيش في البلاد المتحدة من ديار أميركة ، واسمه العلمي Chironectes variegatus اي المقذافي اليد المرقش ، وأصابع رجله ملتجمة كأرجل البط . ولهذا النوع اسم ثان بالانكليزي هو yapock (يابوك) وهو تصحيف (يافوخ) العربية ، لظهور يافوخه ظهوراً بيناً أكثر من سائر الحيوانات ، ولا سيما حين يسبح .

١٨ - الفساء والظربان والضراط

مر الكلام على الفساء في الطريدة^(١) التي رقمها ١٢ وقلنا ان الافرنج اشتقوا

(١) الطريدة في فن الرسم والكتابة نبذة من الكلام المنشور معصورة بين يديها برأس سطروختها عند بدء نبذة أخرى وتسمى أيضاً دبزة ومشاراة وبالفرنسية Paragraphe .

منه Vison والآن تقول ان الانكليز يسمون جنساً من الظربان Zoril، وهو تصنيف واضح للفظ العربي (ضرط) قال بعض لغويينا: «الضرط: دابه بين الكلب والسنور». قيل: اذا صيغ بها، وقع عليها الضراط من الجبن، والأمر يجري فيه دون ان يصاح به. وهو بين الكلب والسنور يكون في افريقية ويصاد لفروه. وأما الظربان العربية، فان علماءنا اللغويين لم يذكروا لها أصلاً يوجه اشتقاق هذا الاسم. وعندنا انه مشتق من الظرب بمعنى الضرط على ما هو معهود في هذا الحيوان

١٩ - الشريجة

الشريجة حيوان من ذوات الأجرية واسمه الافرنجي Sarigue. ويقول العلماء الغرييون ان أصلها من البرازيلية لكنهم لا يفسرونها تفسيراً يوجه استعمالها لهذه الدويبة والذي عندنا انها من العربية (شريجة) ومعناها: «الجوالق كالخرج، بنسج من خوص النخل. تحمل فيه الخضر ونحوها. وجديلة من القصب تتخذ للحمام» وتوسع في معناها فتطلق على كل ما أشبه هذه الأداة من أي مادة اتخذت. ويراد بها هنا دابة كأي الصون Opossum، تكون في جنوبي أميركة. واسمها العلمي Didel phus opossum أي ابو الصون ذات الرحمن، وعلى وجهها اربع نكت بيض، وللاثنى شيء كالخرج عند أسفل بطنها تضع فيه أولادها.

٢٠ - الشعشاعي

الشعشاعي غير الشعاع وان كان كلاهما من بقر الوحش اي الطباء. واسم الشعشاعي العلمي (اي اللاتيني) Alcelaphus lunata اي الابل الهلالي القرن واسمه بالانكليزية ساسابي Sassabye وهو يشبه التبل الا أن قرنيه موجات اعوجاجاً مألوفاً كالهلال. وموطنه افريقية.

٢١ - العلقى

العلقى حيوان ابوت مجتر من ذوات الأخفاف، موطنه الارزاء الشمالية من أوربة وأميركة، وهو كالأبل لكنه عظيم الجثة وله قرنان منشعبان كثيراً الشعب

والأفنان ، وهو — اذا دخل غابة او ايكه ، لا يستطيع ان يسير فيها لاشتباك قرنيه بها ، لأنها يعلقان بها . ومنه اسمه بالعربية . والكلمة لا وجود لها في معاجنا العربية لان الاشتقاق يثبتها ولأن الأقدمين ما كانوا يثبتون في دواوينهم اللغوية ما يتعلق بعلم المواليذ الا في النادرة .

اما اسمه باليونانية فهو Alka أو Alkè اي كالعربية بلا أدنى فرق وباللاتينية Alces أو Alcis وبالفرنسية Elan ولغو يوم يقولون انها من لغة قديمة لا يعرفون معناها . فالعربية تفسرها تفسيراً بدعيّاً .

٢٢ — الزبرى

الزبرى بكسر الزاي وفتح الباء الموحدة التحتية وسكون العين المهملة يليها راء فياء مهمل ، على ما ذكره اللغويون : « اتى التامسيح ، او دابة ، قيل : تحمل بقرنها الفيل » ١٠٥ .

إنما ذكرناه لان بعضهم ظنّ انه الزبراء Zèbre أو الحمار العتابي . وهذا وهم فظيع ، لأن العتابي أو الزبراء لا يؤدي الى المباء ، ولانه ليس له قرن ليحمل به الفيل . والذي نراه نحن ان الزبرى هو من اسماء الكركدن لانه من القواذب كالتامسيح والكركدانات وله قرن واحد ، كما ينقل عن الزهرى انه يحمل بقرنه الفيل . ولا عجب .

٢٣ — الزباد

من المعلوم ان الزباد ، كسحاب ، مادة دهنية حيوانية عطارة تكون في نائجة تكون في أعلى مخرج حيوان سمى بهذا الاسم عينه ^(١) . وكأنهم قالوا في بدء الأمر : دابة الزباد أو سنور الزباد ، او ذو الزباد ، او نحو ذلك ، ثم اجتزأوا بالمضاف اليه ، محتفظين به . ونبدوا عنهم المضاف ، من باب الخفة في الكلام ، كما وقع لهم مثل ذلك في كثير من تعابيرهم . وقد نقل الفرنسيون الى لغتهم هذه الكلمة بقولهم

(١) ذهب بعضهم الى ان (الزباد) هو اسم الحيوان ، الذي تكون فيه نائجة الدهن الطر . والذي عندنا أنه بالعكس ، لان الزباد مشتقة من أحرف (الزبد) لما بين اللفظين من المشابهة والمجانسة وفي المادة نفسها ، فكلاهما دهن حيواني : الواحد عطر والآخر غير عطر .

Civette وهي تدل على المادة الدهنية وعلى الدويبة أيضاً . أما الانكليز فسموا Civet او Civet cat أي سنور الزباد . وسماه العلماء Viverra civetta .
 وخص الانكليز والفرنسيون هذا الامم بالزباد الذي يعيش في شمالي افريقية
 وشمالي آسية . واصطلح كل من الانكليز والفرنسيين اصطلاحاً يقارب هذا الرسم
 اي Zibeth وخصوه بالزباد الذي يوجد في الهند وجنوبي الصين وشرقي الهند
 وسموه باللغة العلمية Viverra zibetha ومن اسماءه عند الانكليز indian cat أو Asiatic
 أما نحن فيجب علينا ان نسمي الأول الزباد الافريقي والثاني الزباد الآسوي
 او الهندي لتمييز الواحد عن الآخر .

وانما ذكرنا هذه المصطلحات للمطالع ليتبين له كيف ان العلماء نقلوا اللفظ
 الواحد العربي الى لغتهم بصورتين مختلفتين ، ومثل ذلك عملوا في اصطلاحهم العلمي
 لكي لا يقع الوهم في الأوضاع العلمية اهـ .
 وقد سبقهم الى مثل هذا العمل العرب ، فانهم كثيراً ما ميزوا كلمة عن كلمة
 بتغيير احدى الحركات ، او بابدال حرف من أحرف الكلمة منعاً لكل خلط أو
 خبط ، وتمييزاً لمعنى عن معنى يبنى عن معنى .

فقد قالوا مثلاً : تلاءم الشيء الفاسد تلاءوماً ، وتلاحم تلاحماً : اذا تلاءم بعد
 ان كان متبايناً - وقالوا : الملتحم بضم الميم وكسر الحاء : مطعم اللحم . والملتحم
 بفتح الحاء من يطعم اللحم ويرزق منه - وقالوا العلاقة ، بفتح العين ما تعلق به الرجل من
 صناعة ومال وزوجة وولد . وبالكسر في السوط ونحوه ، وبعبارة أخرى : العلاقة بالفتح
 في المعاني ، والعلاقة بالكسر في الأمور المحسوسة كعلاقة السوط والقدر ونحوهما :
 وفي اللغة العدنانية من هذه النظائر ما لا يعدُّ ولا يحصى ، وهناك المثلثات ،
 وهي التي تختلف حركاتها بين الضم والفتح والكسر ، ولكل حركة معنى يختلف
 عن معنى اللفظ الآخر . وهذا بحث لا يتوزع ماء بثره . فاجتزأنا بهذا البرز عن العدد .

القرآن

بحث علمي تاريخي اثري

١ - ما هو القرآن

القرآن علم للكتاب الذي بقدهه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها .
ويتبركون به ويتبعون سننه وفرائضه . ويعتقدون اعتقاداً راسخاً انه أنزل على النبي
العربي محمد بن عبد الله وأنه آخر الكتب السماوية نزولاً^(١) و « انه لقرآن كريم
في كتاب مكنون . لا يمسسه إلا المطهرون . تنزيل من رب العالمين »^(٢) .

سُمي القرآن من القراءة . وسمي « كتاباً » و « فرقاناً » على ماورد في سورة
آل عمران : « نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة
والانجيل . من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان »^(٣) .

ولما بوبع عثمان بن عفان (٢٣ - ٣٥ هـ) ثالث الخلفاء الراشدين بلغه ان المسلمين
اختلفوا في قراءة القرآن قدر اختلافهم في لهجاتهم . فلم ير الا ان يجمع آياته
ويضبطها بلغة قريش التي نزل بها القرآن . ثم كتب أربع نسخ منه بعث الى كل
مصر من الأمصار الإسلامية بنسخة . وأمر الناس ان ينقلوا عنها مصاحفهم
وأوعز بإحراق كل ما خالفها من المصاحف .

ولم ينسج المسلمون في نقل القرآن الى لغات البلاد التي دّوخوها أو الى غيرها
من اللغات بل تمسكوا تمسكاً متيناً بعقيدتهم المستندة الى ماورد غير مرة في
الكتاب كقوله : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون »^(٤) . وكقوله :
« قرآناً عربياً غير ذي عوج »^(٥) .

(١) دائرة معارف القرن العشرين : لحمد فريد وجدي : مجلد ٧ صفحة ٦٦٦ (٢) القرآن :
سورة الواقعة ٧٧ - ٨٠ (٣) القرآن : سورة آل عمران ٣ - ٤ (٤) القرآن : سورة
يوسف ٢ (٥) القرآن : سورة الزمر ٢٨

٢ - توحيد القرآن لشتات الأمة العربية

جاء القرآن والعرب ففرق متنازعة وشيع متحايدة تكفر كل منها سائر الفرق وتناهضها وتضمها السوء والشر وناهيك ان العرب ظلوا مئات الأعوام على حال واحدة من الخشونة والبداوة لا يتحولون عنها ولا يسأمون منها . فكانوا مفرقين طرائق ومفرقين حرائق في أجذب المفاوز بل في أبعداها عن النظام والعمران والثقافة . وكانوا مختلفين في مواطنهم ولهجاتهم وعاداتهم لا تضيهم رابطة سياسية ولا جامعة دينية أو قومية . ما كاد يظهر الاسلام حتى أحدث القرآن في أنصاره وأتباعه انقلاباً غريباً عجيباً لم يكونوا يتوقعونه على الإطلاق . فبعد ما كانوا متسكعين في دياجير الجهل . منقسمين الى قبائل وبطون لا يعرفون من الشؤون الاجتماعية شيئاً دأبهم الغزو والنهب والقتل وأخذ الثأر أصبحوا بقوة القرآن أمة متوحدة في لغتها ودينها وشريعتها وسياستها . ومن المدهش أن الأمة العربية التي كانت قبل الاسلام ذليلة ضئيلة تمحوت بعده من الضعف والخور الى العز والبسطة والسلطان . فنهضت نهضة الرئبال واستجمعت قواها حتى تألفت منها دولة منيعة بطشت بدول ذلك العصر كدولة الفرس والرومان واليونان . ولم تلبث أن أحاطت بشعوب تلك الدول تدعوم الى واحد من ثلاث : الاسلام او الجزية او الحرب ^(١) . ولا غرو فان هذه النهضة السريعة حيرت العالم طراً وعدّها القوم حادثاً من أعجب حوادث التاريخ .

من المقرر الثابت أن للقرآن فضلاً كبيراً في تأليف شتات العرب وتوحيدهم مع الأمم المغلوبة المتباينة في لغتها ودينها وجنسها ووطنها . فكوّن من مجموعها عنصراً جديداً مستقلاً هو العنصر العربي . ومن المقرر الثابت أيضاً انه لولا القرآن لما انتشرت اللغة العربية الفصحى في الخلفاء . ولولا القرآن لما أقبل ألوف الألوف من البشر على قراءة تلك اللغة وعلى كتابتها ودرسها والتعامل بها . ولولا القرآن - نعم لولا القرآن - لظلّ أهل كل بلد من البلدان التي دوّخها العرب ينطقون بلهجة يستعجمها أهل البلد الآخر .

(١) دائرة معارف القرن العشرين مجلد ٧ صفحة ٦٨١

فالقرآن عزز الجامعة العربية وصان عنصرها وضمن سلامتها على توالي الأزمان . ذلك لان الدين الاسلامي فرض على كل مسلم ان يدرسه ويحفظه ويجود قراءته قبل أي علم من العلوم البشرية . هكذا حفظ التفاهم بالعربية بين الشعوب الاسلامية وغيرها من الشعوب في الحجاز واليمن والعراق وحضرموت ومصر وفلسطين وسوريا ولبنان وما بين النهرين . وفي طرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الأقصى وزنجبار والسودان وهلم جرا .

وما ان تقهرت الدول العربية وتقهرت معها الحضارة الاسلامية القديمة حتى خشي ان تندثر لغة تلك الدول وتندمج في لغة الشعوب المغلوبة على أمرها . غير ان اللغة العربية استعصت على نكبات الدهر ورست رسوخ الجبال الروامي خلافا لما انتاب لغات الأقوام الذين اندمجوا في العرب بعد الاسلام كالروم والسريان والاقباط والانياط والصابئة واليهود وغيرهم .

٣ - تأثير القرآن في المسلمين العرب وغير العرب

من روائع تأثير القرآن ان أمة المسلمين من غير العرب يرتلون بلغته العربية ويحافظون على تجويده ويشرحونه لأبناء لغاتهم في أنأى الأمصار . واذا أنعمنا الفكرة في أولئك المسلمين غير العرب ألفينا عددهم بناهز مائتي مليون نسمة وهم منتشرون في أغلب الأقطار شرقاً وغرباً . أعني تركيا وإيران وكردستان وكرجستان وأفغانستان وبلوخستان . وفي روسيا والبلقان والهند وجاوة والصين واليابان والحبشة وقلب افريقيا وبعض انحاء اوربا واميركا واستراليا .

تلك مزية تفرّد بها القرآن دون سواه من الكتب المنزلة . فالتوراة مثلاً لا يقرأها بلغتها العبرية الا احبار اليهود ونفر ممن تفرغوا لدرسها . وأما سائر اليهود فان كلاً منهم لا يقرأ التوراة الا بلغة سكان البلاد التي يعيش فيها . وقس عليهم كل المسيحيين في انحاء العالم بأسره . فانهم يقرأون الكتاب المقدس مترجماً الى اللغة الجارية بالاستعمال لدي كل شعب او كل ملة منهم . فلا يقرأه بلغاته الاصلية اعني العبرية والسريانية واليونانية الا العلماء فقط وفئة من نصارى الشرق الأدنى وفريق من نصارى الملبار في الهند الانكليزية .

يتضح مما بسطناه ان القرآن هو المصحف الذي جمع كلمة المسلمين على اختلاف مذاهبهم ولغاتهم وأوطانهم . وأحدث انتشاره تأثيراً كبيراً في أخلاق الشعوب التي دانت بالاسلام وفي عقولهم وآرائهم وميولهم . فأدجموه في كل شأن من شؤونهم دينية ودنيوية . واتخذوه مصدراً لقضائهم ودعامةً لمنازعهم السياسية وسائر أمورهم حتى طعامهم وشرابهم وكسوتهم وعيشتهم المنزلية واعمالهم التجارية . وتبجلى الصبغة الدينية القرآنية في مؤلفي الاسلام ومؤلفاتهم ولئن كتبوا في مواضيع لا صلة لها بالدين . تشهد على ذلك مصنفاًتهم في الفلاحة والفلك والهندسة والجبر والكيمياء والطب والفلسفة والتاريخ حتى الصرف والنحو .

وخلاصة القول ان القرآن في لغته العربية الجميلة تأثيراً عميقاً جداً . وقد حرص المسلمون بقوة القرآن وما يرحوا يحرصون على سننه وفرائضه ونوافله في كلياتها وجزئياتها . واعتنوا غاية الاعتناء بضبط سورة وآياته وأجزائه وأحزابه والمفاظ وحروفه ونقاطه وحركاته وسكناته . وتوافروا على استقصاء حقائقه ومجازاته وتصاريحه وكنائياته ودقائقه ونكاته .

٤ - اجماع الخلفاء والملوك والمسلمين كافة على تعظيم القرآن

أجمع المسلمون قاطبةً منذ فجر الاسلام على إجلال القرآن . وبالغوا في تكريمه وعنوا بصيافته عنايةً ليس بعدها عناية . فدوّنوه على صفائح من ذهب وفضة وعاج وآبنس . وطرّزوه بأسلاك من قصب على حرير أو قطيفة أو ديباج أو ارجوان . ونقشوا آياته على أعمدة المعابد والقصور وعلى جدران المكتبات والدواوين . وعلى الأمتعة والآنية والأسلحة والرايات . وتفننوا في كتابته بأشكال الأقلام والخطوط وأنواع المداد والكاغد وألوان النقوش والزخارف . وعلقوه على صدورهم تيمناً يتقون به كوارث الدهر ويتعوّذون به من هجمات العدو . واتخذوا له قناطر فاخرة وأصونة نفيسة . واستصنعوا لحفظه من التلف والدثور خزائن بدیعة . ووضعوه في محاريب الجوامع ورفعوه على كرامتي رُصعت بحجارة كريمة وجواهر يتيمة . وتنافس المسلمون في إجادة كتابة القرآن تنافس غيرهم من الشعوب في فن التصوير . ومراً بنا ان أمير المؤمنين عثمان بن عفان كتب أربعة مصاحف بعث بها

الى الآفاق . واقتنى أثره الحجاج بن يوسف الثقفي فكتب نسخاً من المصحف أهداها الى عواصم المملكة^(١) . وتمهد الرحالة ابن بطوطة المقصورة العظمى التي يؤمها إمام الشافعية في قبلة المسجد الأموي . فشاهد في ركنها الشرقي ازاء المحراب خزانة كبيرة يزيناها المصحف الذي وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان الى الشام . ولم تكن تفتح تلك الخزانة الا كل يوم جمعة بعد الصلاة فيزدهم الناس على لثمه اي ازدحام^(٢) . وحوى منبر جامع قرطبة بالأندلس مصحفاً من مصاحف الخليفة عثمان . وقد وُشِحَ بحلة ذهبية رُصِعت بالدر والياقوت وُغِشي بالديباج . وركز هذا المصحف على كرسي من العود الرطب مطعم بمسامير من ذهب^(٣) . وفي السنة ٥٥٢ للهجرة نقل المصحف من قرطبة الى مراکش بمجالي التكريم والتعظيم . وظل في حوزة السلاطين الموحدون حتى قُتل السعيد علي بن ادريس عام ٦٤٥ للهجرة . وكانت هذا السلطان قد نقله معه الى تلمسان فنهب المصحف هناك . ثم عثر عليه ملوك بني عبد الواد وظلوا يحتفظون به ريثما افتتح إفريقية السلطان ابو الحسن المريني . فاستولى على المصحف وحمله معه في رحلاته وفتوحاته ثميناً . واتفق انه لما قفل بجزاً عام ٧٥٠ للهجرة من تونس الى المغرب هاجت عاصفة شديدة أغرقت المراكب بمن فيها من نفوس وما فيها من نفائس . وأخصها وأنفسها مصحف الخليفة عثمان فكان ذلك آخر العهد به^(٤) . واشتملت خزائن كتب المسجد الأقصى بالقدس الشريف على نصف مصحف أثري كتبه بالخط الكوفي محمد بن الحسن بن الحسين ابن بنت رسول الله .

وضمت خزانة كتبت النجف الأشرف عند ضريح الإمام علي بن أبي طالب نسخة من القرآن خطها ابنه الحسين^(٥) . وفي السنة ١٩٤٠ سعى السرداد طاهر زين الدين أحد أغنياء المسلمين في الهند لتجديد هذا الضريح ، فاستصنع له خشباً من الآبنس رُصِعَ بخمسين رطلاً من الذهب الابريز وخمسة عشر رطلاً من الفضة الخالصة .

(١) الروزنامة التونسية : سنة ١٣٢١ هـ صفحة ١٢٠ (٢) رحلة ابن بطوطة : جز ١ : صفحة ٥٢

(٣) فتح الطيب : لمقري : مجلد ١ : صفحة ٢٥٦ (٤) الاستقصاء لأخبار دول المغرب

الأقصى : تأليف احمد بن خالد الناصري : جز ١ : صفحة ١٥٠ (٥) مجلة المقتبس في دمشق :

وجعل ارتفاعه احدى عشرة قدماً وقطره عشرين قدماً . وبلغ ما أنفق هذا عليه السردار السخي اثنين واربعين مليوناً من الجنيهات الاسترلينية ^(١) .

واعتاد ابراهيم بن عيّن الدولة سلطان بخارا ان يبعث كل عام الى مكة المكرمة بنسخة من القرآن بكتبتها بخط يده . وذكر المقرئ ان ابا الحسن المريني سلطان افريقية نسخ بيده ثلاثة مصاحف أتحف بها المساجد الثلاثة التي تُشد الرحال اليها في مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف . وسطر المريني نفسه الختمات الشريفة بقلمه الجيد الجدي ^(٢) . ثم اشترى عقارات بالشام قيمتها عشرة آلاف دينار حبسها على الفقراء وعلى خزنة المصاحف ^(٣) .

وقرأنا وصفاً لقرآنٍ مستبدعٍ خطه بيده السلطان ابو الحسن المريني المشار اليه وحبسه على الحرم الشريف . وفيه ان هذا السلطان كلف القراء ليضبطوه وأمر الوراقين ان ينفقوه ويذهبوه . واستصنع له صواناً ظريفاً من الآبس والعاج والصندل ديجم بصفاًح ذهبية مرصعة بالجواهر والياقوت . وجعل ذلك المصحف في قطر من جلده فاخر وشي بخطوط ذهبية وغلف بوشاح ارجواني ^(٤) .

وشاهدنا نحن في دار الكتب المصرية مصحفاً قديماً العهد قرأنا في آخره انه « بخط الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين ابن الخليفة علي رضي الله عنهم » واطلعنا في تلك الدار عينها على مصحف كتب يرسم « الجابتو » سلطان المغول (٧٠٣ - ٧١٦ هـ) ^(٥) . في مطلع القرن الثامن للهجرة .

ومن نفائس دار الكتب المصرية أيضاً مصحف محمد بك ابي الذهب والي مصر وأحد زعماء المماليك في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة . كان هذا المصحف محفوظاً في جامع ابي الذهب ازاء الجامع الازهر بالقاهرة ثم ضاع واحتجب عن الأبصار . وفي السنة سبع وستين وثمانمائة بعد الالف ارتحل الخديوي اسمعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) الى باريس فعثر على هذا المصحف النفيس في متحف اللوفر . واتفق مع أولي الأمر

(١) جريدة البشير : مجلد ٧٠ عدد ٦٠٥٩ سنة ١٩٤٠ (٢) فتح الطيب : مجلد ٢ صفحة ٥٢٧

(٣) تاريخ ابي الفدا : جزء ٢ صفحة ١٢٩ (٤) الاستقصا لأخبار الغرب الأقصى :

جزء ١ صفحة ٦٢ - ٦٣ (٥) نبذة عن دار الكتب المصرية لسنة ١٩٣٩ صفحة ٢٦

الفرنسيين على إعادته الى مركزه في مصر . وقد 'نسخ المصحف المشار اليه بخط مغربي وبعد آية من الآيات بجمال فنه ودقة صنعه وجودة حبره وقرطاسه .
وامتاز غياث الدين ملك الغورية بخطه الطريف فنسخ مصاحف جمعة حبسها على المدارس التي شيدها^(١) . وكان السلطان علاء الدين يكتب المصاحف بخطه الحسن ويقفها على المساجد^(٢) .
وهناك مصاحف أثرية عديدة محفوظة بكل تعظيم واجلال في صروح السلاطين والأمراء وأقطاب المسلمين لا يتسع الوقت لوصفها . وحسبنا الاشارة الى ما احتوته من تلك المصاحف النادرة قصور خلفاء بني عثمان وملوك ايران وافغانستان وخزائن نظام حيدرآباد في الهند . نضيف اليها مكنتات الأئمة وهواة الكتب وغلاة الآثار في مختلف الأصقاع والأمصار .

٥ - نسخ القرآن ومثاقوه

روى التاريخ اسماء رهط عظيم من الخطاطين اشتهروا بنسخ المصاحف في العصور الخالية . بينهم سلاطين وخلفاء وأمراء ووزراء وأئمة طبق الآفاق صيتهم . فماعدنا من المعنا بأسمائهم يطيب لنا ان نذكر سلطان المغرب ابن عبد الحق الذي نسخ ثلاثة مصاحف على رق غفرالـ . ولم يزل احدها محفوظا في خزائن المسجد الأقصى بالقدس الشريف . وهو مجلد طبقا للفن المراكشي ومكنوز في صندوق مرصعة بالمينا على الطراز الأندلسي .

واشتهر عن السلطان ناصر الدين ملك الهند والسند المعروف بصلاحه وتقواه انه كان ينسخ المصاحف ويبيعها ويقتات بأثمانها^(٣) . واثبت ابن بطوطة انه وقف على مصحف محكم الكتابة نسخة السلطان المشار اليه بخطه المتقن^(٤) .

وتفرد بنسخ المصاحف علي بن محمد بن مقله (٣٢٨ هـ) وزير الخليفة العباسي المقتدر

(١) تاريخ أبي الفداء جزء ٣ صفحة ١٠٤ . (٢) أخبار الدول لابي العباس القرطبي: صفحة ٢٨٣

(٣) يذكرنا هذا الخبر بما رواه التاريخ عن ثيودوريوس الكبير ملك الروم [٣٧٩ - ٣٩٥ م] انه كان في أثناء الفراغ من شؤون الملكة يكتب في غرفته على نسخة الكتب ثم يبيعها ويتفق أثمانها على مبيئته الخاصة . (٤) رحلة ابن بطوطة : جزء ٢ صفحة ٢١

بالله . فقد وجدوا له بخطه الرائع مائة مصحف في مكتبة ابي نصر شابور (٣٢٦ - ٤١٠ هـ) ابن اردشير في الكرخ ببغداد^(١) . وفاق ابن مقلة في نسخ المصاحف ابو عبد الله الناسخ . وقد طالعنا عنه في « تاج العروس » انه كتب بخطه الف مصحف . ونسخ على منوالها كثير من قدماء الخطاطين . كما في عمر بن قدامة (٥٢٨ - ٦٠٨ هـ) الذي نسخ الكتب الوافرة ولا سيما المصاحف .

وامتاز بنسخ المصاحف وزخرفتها الشيخ محمد نعيان الوردی الحموي في القرن الثالث عشر للهجرة . وأثبت لنا ابن حفيده ان عدد ما نسخه منها أربى على مائة مصحف وجاراه في ذلك ابنه الشيخ مصطفى نعيان وقد أحرز شهرة واسعة في تنسيق المصاحف ونساختها المصنفات القديمة .

ولم يكُ حظ النساء الخطاطات بأقل من حظ الرجال الخطاطين في تحبير المصاحف . فقد طالعنا في كتاب « مرآة الأديار » أن الخطاطة « بادشاه خاتون » نسخت من المصاحف الشريفة ما لا نظير له .

وذكر ابن فياض في تاريخه : « انه كان بالربض الشرقي في قرطبة بالأندلس مائة وسبعون امرأة يكتبن كلهن المصاحف بالخط الكوفي » . فاذا كان ذلك كذلك في ربض واحد فكم كان من النساء الكتاتيب في جميع أرباض قرطبة التي بلغ عددها ثمانية وعشرين رَافاً^(٢) .

ويشاهد زائر مكتبة القبروان الشهيرة في زماننا مصاحف قرآنية مزدانة بالزخارف مطعمة بالذهب تمقها أنامل فتيات مسلمات في العصور الغائرة . وكانت تلك الفتيات يتنافسن في تجويد الكتابة وتزويقها ويختمن كل مصحف بهذه العبارة : « هذا من صنع وقلم فلانة بنت فلان قدمته هدية لخطيبها فلان بمناسبة الاحتفال بزواجها »^(٣) . الى غير ذلك من نوادر متقي المصاحف ومحبها رجالاً ونساء .

فيليب دي طرازي

(يتبع)

(١) معجم البلدان لياقوت الرومي : جزء ٣٠ صفحة ٣٤٢ والتاريخ الكامل لابن الأثير : جزء ١٠ صفحة ٣

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : مجلد ٢ سنة ١٩٢٢ صفحة ٢٦٥ (٣) المكتبات العربية

في المملكة التونسية : مخطوطة بقم البشير الثوري : صفحة ١١ وهي في خزنة كتبنا .

قلعة شقيف ارنون

هي احدى قلاع جبل عاملة وحصونها الكثيرة التي درس جملها ولم يبق مائلاً منها مصابراً عبر الدهر ومثلات الأيام غير قليل يحدث عن ماضيها القديم الحافل بحوادث الغزاة والفاطحين من مختلف الأمم والشعوب

أما الباقي من هذا القليل ومنه قلعة تبين على عشرين كيلومتراً من شرقي صور وسواها من بقايا القلاع والحصون فلا نتعرض للبحث عنه وموضوع كلامنا قلعة شقيف ارتون من امنع قلاع البلاد الشامية وأكثرها بعد قلعة بعلبك تداولاً في كلمات المؤرخين القدماء والمتأخرين ولا تزال لها بقية نبي عن عظمتها تملأ العين ابتهاجاً وابتداً والقلب اكباراً وإعجاباً

أما جبل عاملة القائمة هذه القلعة الحصينة في القسم الشمالي منه الذي يفصله عن القسم الجنوبي نهر الليطاني المعروف عند جغرافي العرب بنهر ليطا والمتاخم لشمالي فلسطين منتهى حدوده الجنوبية ونهر الاولى (الفراديس) منتهى حده الشمالي وما بينهما شرقاً وغرباً فقد كان الى عهد اليعقوبي المتوفى ما بعد التسعين بعد المائتين من الهجرة بعد من جند دمشق ومن كوره فقد جاء في كتابه (البلدان) ٠٠ وجبل الجليل (وهو احد اسماء جبل عاملة) وأهلها قوم من عاملة ومن بعض اقسامه صور وقُدس كانا يعدان من جند الاردن والقسم الجنوبي من هذا الجبل هو من الجليل العليا وافتتحه مع الكور التي افتتحت من كور الشام ابو عبيدة بن الجراح الصحابي الجليل في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة اربع عشرة للهجرة . ومن كور دمشق صيدا وهي من جبل عامل وقد ذكرها اليعقوبي ولبنان بعد ذكر كورة جبل عاملة وفي ذلك ما يشعر انها كانت عملاً مستقلاً

طول قلعة الشقيف وعرضها حسب سمت لندن غرب بنوش

هي عن هاجرة لندن غرب بنوش في طول شرقي ٤٥ ت ٢٨ ٦ ت ٣٥
وعرض شمالي ٢٢ ٦ ٣٣

قياس ارتفاعها عن سطح البحر

اختلف في قياس ارتفاعها من ٦٢٠ متراً الى ٧٠٠ متر والقياس الأول هو قياس السائح كيراث الفرنسي وبعض المصورات

موقعها

واقعة على هضبة مرتفعة يصعد اليها من قرية ارنون على بعد عشر دقائق منها غرباً شمالياً وهي من النبطية قاعدة الشقيف واحدى حواضر جبل عامل على بعد سبعة كيلو مترات والنبطية واقعة في الجنوب عن صيدا على بعد ثلاثين كيلو متراً وتحت القلعة الى الشرق وادي الليطاني العميق والجانب الشرقي من تلك الهضبة قائم على خط يكاد يكون مستوياً بعيد المهوى يرتفع عن الليطاني ١٥٠٠ قدم وارتفاع قمة الهضبة عن سطح البحر ٢٢٠٥ أقدام وهي اعلى جميع الهضاب والتلال المجاورة له ماعدا جبل الريحان وجبال هونين

ما كتبه عنها علماء تقويم البلدان

في معجم البلدان لياقوت الحموي : شقيف ارنون بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت وفاء وبعد الراء نون ساكنة ثم واو ساكنة ونون أخرى والشقيف كالكهف أضيف الى ارنون اسم رجل امارومي واما افرنجي وهو قلعة حصينة جداً في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل ٠٠ وقال في المشترك : وهو اسم رجل أضيف اليه ويعرف أيضاً بالشقيف الكبير وهو حصن بين دمشق والساحل بعضه مغارة مخوفة في الصخر وبعضه سور . وهو في غاية الحصانة . وعلى القرب منه شقيف آخر يعرف شقيف تيرون بكسر التاء المثناة الى ان قال : وهي قلعة من جهة الأردن على مسافة يوم من صفد في سمت الشمال ٠٠ قال في مسالك الأبصار وليست من بلاد صفد على انه قد عدها في العمل العاشر من اعمال صفد احدى قواعد المملكة الشامية كما نقل ذلك عنه القلقشندي في صبحه . وقال القلقشندي عند ذكره لجبال الشام ومنها جبل عامل وهو جبل ممتد في شرقي

ساحل بحر الروم وجنوبه حتى بقرب من مدينة صور وعليه شقيف ارنون نزله بنو عاملة بن سبأ من عرب اليمن عند تفرقهم بسيل العرم فعرف بهم

اسماؤها

اذا كانت كثرة الأسماء فدل على شرف المسمى فقد حازت قلعة الشقيف هذا الشرف بكثرة اسمائها فهي عند جغرافي العرب تعرف بحصن ارنون • وشقيف ارنون • والشقيف الكبير • وقلعة الشقيف • والشقيف ويسمونها الفرنج بلفورت او بوفورت ومعناها الحصن الجميل

بنائها وتاريخ بنائها

أما بنائها وتاريخ بنائها فمختلف فيها اختلافاً عظيماً وكل من كتب عنها من المؤرخين فيكاد يكون مستندهم محض الظن والاستنتاج شأنهم في كل ما كتبوا عنه من آثار القدماء في هذه الديار وغيرها كقلعة بعلبك وتدمر وسواهما مما لم يسجل بانوه زمن بنائه ومن بناء او انهم سجلوها وعنى من خلفها اثرهما على ان ذلك لم يكن سبباً لاجسام المولعين بالبحث عن المقارنة والاستنتاج للوصول الى ما تظمن اليه النفس من امثال هذا البحث

والباحث عن تاريخ قلعة الشقيف وعن بنائها الأولين لا يطمئن الى قول من يذهب الى ان بنائها من الصليبيين وان كان مما لا ينازع فيه ان لهم فيها بعض المنشآت او انهم بنوا جديدهم على قديمها الذي لم يندرس ولو كان الصليبيون بنائها وهم في عهد استفحال التدوين لكليات الأحداث وجزئياتها من العرب ان اغفل الصليبيون تدوين تاريخها لما كان أغفله مؤرخو العرب

أما القول بأن بانيتها ارنلد وان اسم ارنون مقطع من اسمه فهو مما لا وزن له بعد ان كانت اسم ارنون مما ورد في الكتاب المقدس وهو اسم نهر او ماء يخرج من جبل جلعاد قرب قطرانة وكان يفصل بين ارض موآب وارض الامورين ويعرف أيضاً باسم الموجب ويروي الامامية حديثاً مرسلأ نقله الشيخ محمد الحر العاملي من اعيان علماء المائة الحادية عشرة للهجرة في كتابه أمل الآمل حين وصف

جعفر بن محمد الصادق قوماً من الشيعة وسئل عن مكان وجودهم قال : بلدة بالشام : قيل يابن رسول الله ان اعمال الشام منسعة قال : بلدة بأعمال الشقيف ارنون ونيوت وربوع تعرف بسواحل البحر واطنثة الجبال وهذا الامام توفي سنة ١٤٨ للهجرة قبل الغزوات الصليبية بـ (٣٥٠) سنة ونيف

ومثل هذا القول في البطلان قول ياقوت سمي شقيف ارنون بامم رجل اما رومي واما افرنجي وان اسم ارنون مرياني او غيراني ولم يطلق هذا الاسم على رجل بل أطلق على نهر وعلى مسميات اخرى ولعل الاسرائيليين هم الذين أطلقوا هذا الاسم على هذه القلعة او على موقعها يوم وقعت في سهم اشير من الاسباط يقول كيران اما مؤسسها الأول فهو مجهول لنا . وأما ما بناه الصليبيون فيختلف في شكله عما بناه غيرهم ولهذا لا يصعب تمييزه . ولا زيب في ان بناءها كان قبل أيام الصليبيين بمدة مديدة الا اننا لم نقف على ذكر لها في التاريخ قبل القرن الثاني عشر للميلاد . ولا يبعد انه كان بعد تملك الرومانيين او البيزنطيين سورية وربما كان قبل تلك الأيام أيضاً وقد ذكرها مؤرخو الحروب الصليبية الفرنسيون مراراً باسم بلفرت او بوفرت الا انهم لم يتعرضوا لذكر تاريخ بنائها ولو كانوا هم الباني لها لما سكثوا عنه . ولا يعلم بالتحقيق الذين بنوها أنصارى هم أم مسلمون . ورجح المقتطف ان بنائها الاولين من الرومان بعد الميلاد ويزعم بعضهم انها من بناء الصليبيين وان فيها بناء فينيقياً قديماً

اما دعوى ان بنائها من الصليبيين فيكفي في دفعها مضافاً الى ما سردناه من الأقوال وما استنتجناه من النتائج انهم لم يؤرخوا ذلك ولا ادعوه ويرجع قديم بنائها على الراجح وعلى اختلاف كيفية البناء في العهد الصليبي عن كيفية البناء انها اما من بناء الاسرائيليين ويؤيده التسمية بارنون وبوقوع مكانها في سهم اشير من الاسباط واما من بناء الفينيقيين وقد كانت في حكمهم وفي البلاد التي غلبوا عليها واما من بناء الرومانيين او البيزنطيين وكلاهما قد امتلاك بلاد الشام وهي قسم من أقسامها

التعريف بقلعة الشقيف ووصف ابنتها ومناظرها

لم نَرَ بين مؤرخي العرب وجغرافيتهم من وصف هذه القلعة الشفاء وصفاً ممتعاً معرفاً بعظمتها وجل ما كتبوه ما سبق ذكره آنفاً وهو لم يعرض فيه الى التعريف بأبنيتها الفخمة وأوضاعها الهندسية المحكمة وما اشتملت عليه من فن عقود الأبنية أحد الفنون التي كان للعرب بها فضل المعرفة وإذا عرفت ان من مرافقي السلطان صلاح الدين الأيوبي أمثال القاضي الفاضل وهو كاتب ذلك العصر والمعاد الاصفهاني وهو من أئمة الانشاء والبلاغة فيه وابن شداد وهو الثقة العدل وعرفت انهم كانوا يحصون عليه انفاسه ولم يغادروا صغيرة ولا كبيرة من اعماله وحروبه ولا حديثاً من أحاديثه الا روهه فكيف اجمعوا عن وصف هذه القلعة والاشادة بمحاسنها والتنويه بعظمتها التي تستثير كامن القرائح وتدع العي بليفاً والمفحم شاعراً وما كان من جاء بعدهم الا طابعاً على غرارهم ولعل السر في هذا الاجمام منع الغالبين عليها كتاب زمانهم من ذلك لما فيه من دلالة العدو على عورتها وما يد له من التمكين من منازلها ومحاصرتها ومها يكن من أمر هذا الاجمام والسكوت فانا لم نجد لها وصفاً من سياح الفرنج الذين كثر غشيانهم البلاد من عهد الأمير نجر الدين حتى ولا من فواتي الذي زار هذه الديار في عهد احمد باشا الجزائر وكتب عنها رحلة مطولة جامعة ولعلها كانت في تلك الحقبة وهي في حكم امرائها العاملين الاقطاعيين وهم لم يكتنوا له من زيارتها وهي تجمع اسرار قوتهم الحرية وهم واعدائهم الكثيرون من رجالات الدولة والأمرء المجاورين في نضال مستمر وان ما كتب عنها لا يتدد العهد به على ما هو المظنون الى ما يجاوز اواسط القرن التاسع عشر الميلادي وهو العهد الذي زار فيه بلاد الشام السائح الفرنسي كيران ولعله هو أول من كتب في وصفها والتعريف بها وهذا تعريب ما كتبه بشيء من التصرف

لهذه القلعة مدخل من الجنوب وشكلها مثلث الزوايا وقياسها ١٦٠ متراً طولاً و ١٠٠ عرضاً تقريباً تحيط بخوانبها آبار محفورة في الصخر ويحميها من الشرق مجرى نهر كبير يسمى نهر الليطاني يتغدر على عدة امتار من حضيضها وفي الجنوب المنفصل

عنها حوض للماء محفور في الصخر وفي الغرب منها صهاريج كلها محفورة في الصخر الصلد مسقوفة بعقود حجرية وفي الشمال منها حوض بعضه منحوت من الصخر وبعضه مبني وجدرانها المحيطة بها منحدره وفي الداخل من القلعة آبار وأحواض كثيرة كان يجتمع فيها من مياه المطر ما يسد اعواز المحاصرين وهو يبطل ما يتناقله بعضهم من ان في القلعة الى نهر الايطاني نفقاً كان ينقل منه ماء النهر الى القلعة

وهي قسمان قسم منخفض تحده من الشرق هضبة الايطاني وقسم مرتفع مبني على قمة الهضبة على صفحة من الصخر ولا تزال قائمة فيها ابراج من القدم تميل ميلاً عمودياً . وفي القلعة ابهاء (صالات) وحوانيت وغرف متصلة متلاصقة يفصل بينها ممر ضيق مسقف بعقود . وفيها طبقتان ببناء مختلف يستدل منه على قدمها والمتهدم منها نحو ثلاثة ارباعها والقسم المرتفع الممتد الى الجهة الغربية تظهر فيه من الجهة الجنوبية بقايا برجين جميلين مستديرين مبنيين بحجارة كبيرة قائمين على حائط منحدر مبني بحجارة صقيلة يصعب نسلقها . والجهة الغربية عبارة عن جدار عال متناه في الغلظ وركاؤه السفلى قائمة على قاعدة من الصخر الطيعي وهي منضدة من حجارة ضخمة غالبيتها منحوت واما السافات (المداميك) العليا فهي أصغر من السفلى مما يستدل منه انها حديثة البناء وفيها درج محفور في الصخر متصل ببعضه ببعض

وفي دائرة المعارف للبستاني . . وفي الطريق من اردن الى القلعة بركة كبيرة متينة البناء واقعة على سفح التل والقرب منها آثار قرية كانت تابعة للقلعة يحيط بها سور وبرجان مستديران والى الجنوب الغربي منها فسحة من الأرض مستوية يظن انها كانت ميداناً للعساكر (وتسمى الى اليوم الميدان)

ومدخل القلعة الكبير هو من الجهة الجنوبية ولم تزل هناك آثار حوض جميل متصل بالخندق المحفور في حجر صلب في الجهة الغربية وجانب القلعة الجنوبي وليس لباقي جهاتها خندق لان استحالة الوصول اليها من جهة أخرى أغنتها عن ذلك . ثم ان قبة التل ضيقة جداً حتى ان القلعة اعرض منها وكان يدخل اليها على جسر متنقل في جنوبها . وهناك آثار ابنية يظن انها كانت اصطبلات أقامها الصليبيون .

وبالقرب من الزاوية الشرقية ابنية متصلة بأعلى القلعة كانت يدخل منها اليها والقلعة مستطيلة وضيقة جداً بحسب الارض التي بنيت عليها فلا مناسبة بين طولها وعرضها . وأما حجارتها فكلها مربعة الزوايا الا انها ليست بكبيرة كالحجارة في القدس وبعلبك ولا محكمة التخت نظيرها الا انها تشبهها مشابهة عامة ووسط وجهها الخارجي خشن غير منحوت وهي الين من حجارة القدس ولذلك قد أثر فيها الهواء مع تبادلي الزمان

وفي القلعة عدة ابراج مربعة بارزة . والى الجهة الجنوبية الغربية منها برج مستدير اساساته مستديرة مائلة ولذلك كله منظر جميل وكان الى شرقي البرج المذكور باب صغير بقطر مستديرة من حجارة محكمة التخت ذات نقوش ظريفة وجدران القلعة متينة ومرتفعة وارتفاعها عن الخندق من ٦٠ الى ٨٠ قدماً . وطولها نحو ٨٠٠ قدم وعرضها مختلف لا يتجاوز معظمه ٣٠٠ قدم وكتب عنها بيدكر ووصفها بما لا يزيد على ما ذكر ومع ما في هذا الوصف من الدقة فانه لم يصل الى ما اشتملت عليه من الامرار ولم يتناول الا ما استطاع الباحث ان يصل اليه وبشاهده وأما ما وراء ذلك فهو مطوي بما فيها من الاحافير التي لم تكشف بعد في ظلمات التراب المتراكم وقد قامت بها في هذه الايام بمض اعمال التنقيب والحفر والاصلاح مما يحمد أثره ولكن لم تقف على ما ظفر به المنقبون مما يلقي الضوء على تاريخها القديم المظلم

بين الاعمال والولايات والنيابات

كانت هذه القلعة تتبع في الادارة سياسة المتغلب على البلاد المجاورة لها من الداخل والساحل فكانت مرة عملاً لبانياس قاعدة وادي التيم واخرى عملاً للقدس . وتارة لصيدا . وطوراً لصغد . وآناً مركزاً لأعمال عظيمة وأحياناً قاعدة لمملكة تنسب اليها (المملكة الشقيفية) وآونة ولاية . وحيناً نيابة . أو محافظة . وقد مر أنها كانت الى عهد اليعقوبي من اجناد دمشق وكانت تتسع وتضيق رقعة ما يدخل في عملها تبعاً لمقتضيات ادارة الغالب

بين التعمير والتدمير

لم يتعرض مؤرخو العرب لذكر هذه القلعة قبل الحروب الصليبية وفيها قبل عام ١١٨٥ م ولكن ولم اسقف صور ذكرها قبل هذا التاريخ بعشر سنين . وبعض مؤرخي الفرنج وهو كيران رجع بها الى أبعد من هذا التاريخ حيث قال : انها وقعت في قبضة فولك ملك القدس عام ١١٣٩ م ٥٣٩ هـ وعدم ذكرها في غير هذه الحقب لا يدل على انها لم تكن قائمة عامرة في اول امتلاك الصليبيين لها بامتلاك احدى القواعد التي كانت تابعة لها كصيداء وصفد وبانياس وغيرها ولا يستدل من ذلك على انها كانت مستغنية عن الترميم وزيادة التحصين فلا جرم ان ابدي الصليبيين امتدت اليها بعد ان وقعت في قبضتهم بإعادة المتهدم وتجديد الدائر وقام لهم من البناء الجديد ما يتميز عن بنائها الروماني القديم وعن بناء العرب فإن الجهة الغربية كلها مع الزاوية الشمالية والجنوبية الغربية قد بنيت قبل الصليبيين بمدة مستطيلة ومعظم القلعة الآن هو من القسم المذكور وليس فيه من بناء القرون الوسطى الا آثار قليلة والظاهر ان الصليبيين بنوا اكثر الجهة الشرقية منها ويرى في الوسط كنيسة لاتينية ذات سقف مؤلف من قناطر متقاطعة وبابها الصغير يدخل منه الى الدار الداخلية . وهناك آثار أبنية متصلة بأعلى القلعة كان يدخل منها اليها وهي كسائر فلاع القرون الوسطى في بلاد الشام من بناء كثير من المتغلبين وأهم ابنيها في العهد الروماني ومعظمها من بناء العرب وفيها معبد أوملى من القرون الوسطى من الجهة الشرقية

افرج ارناط (ارندل) هم في تحصينها اثناء الهدنة التي عقدها وصلاح الدين يوم جاءها محاصراً وسلط عليها أحجار المنجنيق من اعالي الهضبة الشرقية المشرفة عليها من ضفة الليطاني الشرقية . يقول العماد الاصفهاني في الفتح القسي بعد ان ذكر اجتماع ارناط بصلاح الدين وأعطاه مهلة لتسليمها مدة ثلاثة اشهر . فشرع ارناط في ازالة حصنه . وازالة وهنه . وترميم مستهدمه . وتتميم مستحكه . وتوفير غلاله . وتوفية رجاله وفي سنة ١٢٦٠ م ٦٣٧ هـ بنى الفرسان الهيكليون القصر الجديد فيها

على ما يظن وهو الذي ترى انقاضه على بعد بضع مئات الامتار في الجهة الجنوبية .
وقد بقيت بيد الرهبنة الهيكليين الى عام ١٢٦٨ م ٦٦٧ هـ حيث استولى عليها ييبرس
بعد حصار شديد ثم رمت واقم فيها عساكر للمحافظة .٠٠ قال كيران استولى
ييبرس على محل بلفور وموقعه بين الحصن والقلعة الجديد ويفهم من هذا ان اسم
بلفور خاص بهذا المحل او بقرية بناها الفرنسيون بقرب القلعة .٠٠ وفي فوات الوفيات
لابن شاكر وكانت الشقيف قلعتين متجاورتين فجمع ييبرس بينهما وبني بها جامعاً
وحاماً وديار نيابة وبرج الظاهرية الذي كان مقابلاً للقلعة والمعروف اسمه وموقعه
الى اليوم هو نسبة الى لقبه (الظاهر) اما لأنه أحدث بناءه او لأنه اعاد متهدمه
طوى المؤرخون صفحة تعميرها وتدميرها الى أوائل القرن السابع عشر الميلادي
والخادي عشر الهجري وهو القرن الذي نبه فيه امر الأمير نجر الدين المعني وشملت
امارته قسماً كبيراً من البلاد الشامية ساحلها وجبلها ممتداً من بلاد صفد جنوباً
الى انطاكية شمالاً واستولى على كثير من القلاع والحصون من ضواحي دمشق
ونصرف في ثلاثين حصناً كانت قلعة الشقيف في جبلتها وذلك قبل ان يوغر
صدر الدولة العثمانية عليه ولما تنكر له رجالها اهتم في اعداد العدة للمناضلة وتجهيز
القلاع والحصون فرمم من بينها هذه القلعة وشحنها بالرجال وآلات الحصار والدفاع
وامتنعت على المحاصرين فلم ينالوا منها نيلاً الى ان تقلبت الأحوال بالمعني وكثر
مقاوموه من الولاة العثمانيين ومن الوطنيين الاقطاعيين وأحزابهم مما اضطره للخروج
من البلاد فقضت مشيئة بعض رجال الدولة بتهديم هذه القلعة وسواها عام ١٠٢٥ هـ ١٦١٦ م
ثم وقعت هذه القلعة بيد الصعبيين حكام مقاطعة الشقيف فأقام بها منهم
احمد منصور واحمد فارس فعمروا القلعة وأحدثوا فيها بوابة وظلت في يد الصعبيين
الى عام ١١٩٥ هـ ١٧٨٠ حيث انتهى الأمر بيسط الجزائر حكمه على بلاد جبل عامله
بعد مقتل ناصيف النصار من آل الصغير وكبير حكام جبل عامله وحرص الحرص
كله على تهديم قلاعه ومن بينها هذه القلعة أما يد التهديم فلم تطل غير أعاليها
وبعض ابراجها وأما ما تحتها من الأبنية فلم تكن لتنتال او تستطال ويقال ان

الجزار نقل بابها الحديدى الى عكا والشيخ حسن بن فارس الصعبي نقل الى قرية
البابلية من اعمال الشام قسماً من احجارها الملونة زين بها بعض المباني التي احدثها فيها
تداولها بين المتغلبين

انتقلت من الصليبيين الى السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٥ هـ ١١٨٩ م.
ومن اسماعيل ملك دمشق تسلمها مع صفد الفرنسيون سنة ١٢٦٠ م ٦٣٧ هـ على ان
يكونوا عوناً له على ابن اخيه الملك الصالح ايوب . وفي هذه السنة اشتراها رهبنة
الهيكليين وصيدا من بوليانس حاكم صيدا وظلت في أيديهم الى سنة ١٢٦٨ م ٦٦٧ هـ
وهو العام الذي فيه استولى بيبرس عليها بعد حصار شديد ثم تعاقبت عليها أيدي
ملوك مصر والشام ولم تفقد شيئاً من حصانتها من عهد بيبرس الى عام ١٤٠٠ م
٨٠٣ هـ واستمرت الى هذا الحين متمسكة بمنعة وكانت ملجأ حصيناً للفارين من
بلاد الشام يوم جاءها تيمورلنك غازياً . ثم انتهت الى يد الأمير نخر الدين المعني
ثم الى حكام البلاد العالمية ثم الى احمد باشا الجزار نهاية محزنة شوهت جمالها
وحجبت هلالها وأخيراً وفي هذا العهد الى الجمهورية اللبنانية ولعلها تحرص عليها
وتجلبو محاسنها المحجوبة تحت المتردم من ابقيتها من ركام الأحجار والتراب وتبرزها
صفحة لامعة متعة انظار السائحين والزائرين بقراون فيها ما كان لها من عمران زاخر
ومجد تالد وحوادث جسام تعاقبت عليها قروناً متطاولة لا يستطيع تحديدها .

سليمان ظاهر

— ٣٥٥ —

قبر معاوية بن أبي سفيان

تضاربت الأقوال وتعددت الروايات منذ القدم حتى يومنا هذا عن مكان قبر معاوية بن أبي سفيان منهم من جعله في الحائط القبلي من جامع دمشق في دار الإمارة الخضراء . وهو القبر المنسوب إليه في محلة معاوية بجوار قصر آل العظم من جهته الشرقية . ويزعم غيرهم انه في محلة النقاشات جنوب شرقي الجامع الأموي في الزاوية المعروفة بزاوية السنود . ويرجح آخرون انه في أقصى جنوب تربة الباب الصغير حيث هنالك قبر يزار ويتبرك به يعرف بقبر معاوية . ولم نعث في مظهر هذه القبور على ما يسندل منه على صحة نسبتها او قدمها مما يرجح معه زعم على آخر . وجميع هذه القبور هي حديثة العهد صنعت من تراب وشيد عليها بيوت جديدة بسيطة الا قبر محلة النقاشات فقد شيد عليه قبة لطيفة أبوية وهنالك من لا يسلم بواحدة من هذه المزاعم ويعتقد تلفيقها ويحكم بفسادها لأن دولة بني العباس قد نبشت قبور بني أمية ثم حرث مكانها وزرع نحواً من مائة عام^(١) . فعت بذلك آثارها وضاعت معها معالمها .

ولسلك من هذه المزاعم أنصار يبرهنون عليها بنصوص تاريخية لا غبار عليها لو قبلت على علانها . وهكذا نجد أنفسنا أمام واثق وآراء متضاربة متباينة . يصعب معها الأخذ برأي دون سواء اذا لم يدعم مما يؤيد رجحانه .

ان واجب الباحث المدقق ان يرتاب بصحة أصدق الروايات اذا لم تتعدد مصادرها وروايتها . كما انه ليس له ان يهمل بلا تحقيق رواية او يستخف بها مهما بدت ضعيفة أو سنيفة . وليس لأحد ان يؤيد زعماً أو ينفيه ما لم يضع شقي الروايات في ميزان النقد والتمحيص فيأخذ ما رجحت كفته . وهكذا اهتدى المؤرخون والباحثون للحقائق وأصابوا لباب التاريخ الصحيح . وفازوا باستجواب الحوادث التاريخية مع ما فيها من شوائب وتضليل . فخلوا عقدها واضحوها غوامضها . ان حوادث التاريخ سلسلة

(١) تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ٢٢٦ . تاريخ الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٦١

حلقاات مرتبطة بعضها ببعض غير مستقلة . لها مقدماتها ولها نتائجها . وكل حادث لا يستوفي هذا الشرط جاز لنا الحكم بفساده والطعن في صحته . وقد سلكت على هذا النحو في هذا البحث . متمسكاً بعث الحقيقة من بين نصوص موثوقة ومزاعم واهية . عساي ان اوفق بفضل ما جمعته من الوثائق المبعثرة وبارشاد زملائي الأعلام للوصول الى حقيقة تطمئن لها النفوس وتضع حداً لتبليبل الآراء في هذا الشأن .

أجمع المؤرخون ان وفاة معاوية كانت بدمشق ودفن فيها . منهم من عين موضع قبره ومنهم من أغفله وأما النصوص القائلة بدفنه في الدار الخضراء فهي الآتية :
١ - قال المسعودي (المتوفى عام ٣٤٥) : توفي معاوية بدمشق سنة ٦٠ وله ثمانون سنة . ودفن بدمشق في الموضع المعروف بباب الصغير . وقبره مشهور في تلك المقبرة . وقيل بل في الدار المعروفة بدمشق بالخضراء الى هذا الوقت في قبلة المسجد الجامع وان الذي في مقبرة باب الصغير قبره هو قبر معاوية بن يزيد بن معاوية ^(١) . وقد أضعف الشق الأول من هذا النص الشق الثاني ونفاه . ويتبين منه انه لم يشتهر وقتئذ سوى قبره الكائن في مقبرة الباب الصغير .

ب - وذكر ابن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١) مانصه :
وأما معاوية فمختلف في قبره . فيقال ان قبره خلف حائط المسجد موضع دراسة (القراء) السبع . والأصح ان قبره خارج باب الصغير ^(٢) . وهذا نص واضح لا يحتمل التأويل .

ج - ونقل ابن كثير (المتوفى سنة ٧٧٤) الرواية الآتية :
« ولا خلاف انه (أي معاوية) توفي بدمشق ثم دفن فقيل بدار الأمانة وهي الخضراء . وقيل بمقابر باب الصغير وعليه الجمهور ^(٣) » . ويرجح أيضاً هذا النص دفنه في مقابر باب الصغير .

د - ونقل ابن قاضي شعبة (المتوفى عام ٨٥١) مانصه :
« واختلف في قبر معاوية فيقال خلف حائط المسجد موضع القراء السبع .

(١) التنية والاشراف ص ٢٦١ . (٢) التاريخ الكبير الجلد الاول ص ٢٦٥ .
(٣) الدايد والنهاية ج ٨ ص ١٢٣

والأصح ان قبره خارج باب الصغير والله أعلم . وهذه العبارة قد نقلت عن ابن عساكر بتعريف طفيف .

هـ - وذكر الحافظ بن طولون (المتوفى سنة ٩٥٣) مانصه :

« في الحائط القبلي من جامع دمشق في نصرة الأمانة الخضراء قبر معاوية وهو الذي تسميه العامة قبر هود عليه السلام ^(١) » . وهذا نص متأخر والوحيد الذي انفرد بهذا الزعم .

و - وأورد ابن الحوراني (من أعيان المئة العاشرة) العبارة الآتية :

ومنهم معاوية الذي [دفن] خارج باب الصغير فانه أبو ليلى معاوية الذي تولى نحو أربعين يوماً ^(١) » . وهذه رواية ضعيفة لا يعرف مصدرها .

ز - وزعم محمود العدوي [من أعيان القرن الثاني عشر] : ان القبر الذي يباب الصغير ويقال له قبر معاوية انما هو قبر معاوية بن يزيد بن معاوية هذا وليس معاوية ابن أبي سفيان . « ويقال ان معاوية بن أبي سفيان مدفون في حائط جامع دمشق خوفاً عليه من الخوارج » . وهذا نص متأخر لا يصح الأخذ به .

ويظهر من النصوص المتقدمة ضعف الرواية القائلة بدفن معاوية في دار الامارة الخضراء . وانما أوردتها ثقافة المؤرخين كرواية ثانوية أبطلوها ونفوها .

وأما القبر المنسوب لمعاوية المعروف في محلة النقاشات فلم أهتم الى أي نص يشير اليه . وعليه يمكننا الحكم بفساد هذه الرواية الموضوعة . ولعل وجود هذه التربة المجهولة على مقربة من دار الخضراء حمل بعض الناس على نسبتها الى معاوية لا سيما وقد وجدوا في قدم عهد هذه التربة وحسن مظهرها ما يتفق مع مكانة معاوية من أي تربة أخرى غيرها في جوارها .

وأما روايات دفنه في مقبرة الباب الصغير فكثيرة وافرة ومن عصور مختلفة نورد أهمها :

١ - قال المسعودي [المتوفى عام ٣٤٥] مانصه : « دفن [أي معاوية] بدمشق بباب الصغير وقبره يزار في هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة وعليه بيت مبني يفتح كل يوم اثنين وخميس ^(٢) » .

(١) الاشارات الى أماكن الزيارات لابن الحوراني ص ١٠ (٢) سروج الذهب ج ٢ ص ٥٣

٢ - وقال أيضاً ما نصه : « دفن [أي معاوية] بدمشق في الموضع المعروف بباب الصغير وقبره مشهور في تلك المقبرة ^(١) » . ويؤكد النصان شهرة القبر في ذلك العصر بأنه في الباب الصغير .

٣ - وذكر مؤرخ دمشق الحافظ ابن عساكر [المتوفى عام ٥٧١] العبارة الآتية : « قال ابن الاكفاني أُراني الشيخ ابو محمد عبد العزيز بن احمد الكتاني [المتوفى سنة ٤٦٦] قبور الصحابة الذين بظاهر دمشق بباب الصغير وهم معاوية بن أبي سفيان . وفصالة بن عبيد . . وغيرهم وهم داخل الحظيرة مما يلي القبلة وابو الدرداء خارج الحظيرة وأم الدرداء خلفها » . وذكر أيضاً ما نصه : « قال يزيد بن احمد السلمي دفن في مقبرة الباب الصغير من الصحابة والمعروف منهم معاوية . الى ان قال : وأما معاوية فمختلف في قبره فيقال ان قبره خلف حائط المسجد موضع دراسة [القراء] السبع والأصح ان قبره خارج الباب الصغير ^(٢) » . وجميعها نصوص واضحة نيرة يؤكد فيها ابن عساكر دفن معاوية في باب الصغير .

٤ - وذكر ابن كثير [المتوفى سنة ٧٤٤] ما نصه : « صلى عليه [أي على معاوية] الضحاك بن قيس بعد صلاة الظهر بمسجد دمشق ثم دفن فقبل بدار الامارة وهي الخضراء وقيل بمقابر باب الصغير وعليه الجمهور والله أعلم » . الى ان قال عن رجوع يزيد بن معاوية من حوارين حينما بلغه وفاة والده . « فأتته [أي يزيد] الى باب توما . فظن الناس انه يدخل منه الى المدينة فأجازه مع السور حتى انتهى الى باب الشرقي فقبل يدخل منه لانه باب خالد . فجازه حتى أتى باب الصغير فعرف الناس انه قاصد قبر أبيه فلما وصل الى باب الصغير ترجل عند القبر ثم دخل فصلى على أبيه بعد ما دفن ثم انقفل . فلما خرج من المقبرة أتى بمراكب الخلافة فركب ^(٣) » .

٥ - وذكر ابن الحوراني [من أعيان القرن العاشر] ما نصه : « منهم [أي من دفن من الصحابة في باب الصغير] معاوية بن صخر بن ابي سفيان الأموي مات بدمشق ودفن بمقبرة باب الصغير وقبره معروف يزار ومبني عليه ^(٤) » .

(١) التلخيص والاشراف ص ٢٦١ (٢) التاريخ الكبير «طبع دمشق» ج ١ ص ٢٦٤ - ٢٦٥

(٣) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٣ (٤) الاشارات الى أماكن الزيارات ص ١٠

- ٦ - وذكر ابن عبد الرزاق الدمشقي [المتوفى سنة ١١٣٨] ما يأتي : « مات معاوية بدمشق على الأصح ودفن بمقبرة باب الصغير وقبره معروف يزار مبني عليه قبة ^(١) » .
- ٧ - وذكر مثل ذلك أيضاً البصري ^(٢) .
- ٨ - وقال احمد العدوي الشهير بالمني [المتوفى سنة ١١٧٢] عندما عدد قبور الصحابة في دمشق : « منهم الصحابي الجليل سيدنا معاوية بن أبي سفيان الأموي في مقبرة الباب الصغير . وفي جانب ضريحه من جهة القبلة قبر الصحابي الجليل أبي الدرداء عويم الخزرجي وزوجته النابغة ام الدرداء الصغرى قبرها الى جانب قبره وعلى رأس قبره حجر مكتوب عليه اسمه . وكان قبره وقبر زوجته ام الدرداء مكشوفين فبني عليهما السيد محمد المرادي بناءً يحيط بهما له باب يفتح للزيارة ^(٣) » .
- ان جميع النصوص التي أوردناها هي متسلسلة من القرن الرابع حتى يومنا هذا وتؤكد ان معاوية بن أبي سفيان قد دفن في مقبرة الباب الصغير ولكنها لم تعين الناحية التي دفن فيها ولذلك يتعذر معها تحديد قبره في مقبرة مترامية الأطراف .
- غير ان ابن عساكر قد خفف عنا العناء وحدد موضع القبر بقوله : داخل الحظيرة مما يلي القبلة . فسهل علينا بذلك البحث وهدانا السبيل القويم . وينطبق هذا التحديد على مكان القبر المنسوب اليوم الى معاوية الواقع في أقصى جنوب مقبرة الباب الصغير أي مما يلي القبلة كما قال ابن عساكر . وقد سبق للأستاذ عمر الدين التتويحي ان نشر مقالاً بهذا الموضوع في مجلة مجمعنا العلمي عام ١٩٣٧ ننقل عنه نص الكتابات الموجودة على هذا القبر . الكتابة الأولى هي بخط نسخي من أواخر عهد المماليك نصها : (هذا قبر خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان كاتب الوحي ورديف رسول الله ﷺ) . والكتابة الثانية من العهد العثماني وهي : « هذا مرقد سيدنا معاوية رضي الله عنه . جدد هذا المقام صاحب الخيرات أدنوي الحاج محمد باشا محافظ الشام سنة ١١١٥هـ ^(٤) » .

لا يعدم المرء باباً للطعن في هذه النصوص وهذه الوثائق لما في بعضها من غموض

(١) حداثي الانعام في فضائل الشام (٢) نغمة الانعام في فضائل الشام (٣) الاعلام في فضائل الشام (٤) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ١٥ ص ٢٩٦

وابهام وحدثة عهد . ولكن هنالك وثائق أخرى تزيد الشبهات ويتعذر معها الاشكال والتأويل لما لها من قيمة علمية وقوة استدلال محكمة . فقد عثرنا في تراجم طائفة من الصحابة والتابعين والعلماء والأشهراء على انهم دفنوا في عصور مختلفة في مقبرة باب الصغير في جوار معاوية منهم ابو الدرداء وأم الدرداء والوليد بن عبد الملك وابو الفتح المقدسي المتوفى سنة ٤٩٠ واحمد بن السلطان نور الدين زنكي المتوفى عام ٥٤٧ والحافظ بن عساكر صاحب تاريخ دمشق المتوفى سنة ٥٧١ وشمس الدين الصرخدي المتوفى سنة ٧٩٢ وابن رجب المتوفى سنة ٧٩٥ وشهاب الدين احمد النابلسي المتوفى ٩٠٧ وابراهيم الناجي شيخ المحدثين بدمشق . وقد عثرنا صدفة في جوار قبر معاوية على ثلاثة من هذه القبور كانت شواهدا مردومة على عمق أمتار . الأولى منها هي شاهدة قبر ابي الدرداء . ظهرت عام ١٩٣٨ على نحو [٢٠] متراً للجنوب الغربي من قبر معاوية . كتب عليها بخط كوفي من القرن الرابع ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . لا إله الا الله محمد رسول الله . هذا قبر أبي الدرداء صاحب رسول الله . صلى الله عليه وسلم . رضي الله عنه . » وعثر بجوارها على الثانية وهي شاهدة أم الدرداء . وكتابتها من نوع الأولى ونصها : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا قبر أم الدرداء أحد اصحاب [كذا] رسول الله صلى الله عليه وسلم . رضي الله عنها » .

وقد سبق للأستاذ عز الدين التنوخي ان عثر عام ١٩٣٧ لصيق حائط بيت قبر معاوية الجنوبي على قبر عليه شاهدة حديثة العهد كتب عليها اسم ابي الفتح المقدسي وقد اعتمد عليها في مقاله ليثبت بها صحة نسبة هذا القبر الى معاوية . ولكن كتابة هذه الشاهدة الحديثة كانت علة الضعف فيها ولا يمكن للباحث ان يجزم بصحتها . وقد أتت الصدق الا أن تؤيد ما ذهب اليه الأستاذ عز الدين التنوخي . لأنه قد عثرنا بعد أشهر من نشر مقاله على قبر ابي الفتح المقدسي الحقيقي وذلك على نحو [١٥] متراً شرق قبر معاوية وظهر معه على عمق أمتار شاهدة قبره كتب عليها بخط كوفي ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . لا إله الا الله . عد للقاء الله . محمد رسول الله . هذا قبر الفقيه الزاهد الامام ابي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي . رحمه الله .

توفي في الحرم سنة تسعين وأربعمائة . وكل ما في هذه الشاهدة يدل على انها شاهدة قبره الأصلية التي عملت عند وفاته . والشواهد الثلاث هي مودوعة الآن في دار الآثار بدمشق .

ويبين لنا مما تقدم ان مكان قبر معاوية قد اشتهر منذ أقدم عصور التدوين الاسلامي بأنه كان في باب الصغير . (قد عرفه المسعودي في سنة ٣٣٢ ووصفه بأنه عليه « بيت مبني بفتح كل يوم اثنين وخميس » ولو كان أمر تجديد هذا القبر بعد درسه قريب العهد من المسعودي لما أغفل ذكره . وأثبتت النصوص بأن العامة بقيت تكرم قبر باب الصغير وتزوره منذ ذاك العصر الى يومنا هذا . وهكذا حفظ العوام ما غاب عن الخاصة . ولا عجب بذلك لأن العامة خزانة تحوي الغث والثلث . كم من حقائق تاريخية واجتماعية ولغوية وعلمية تداولتها السنة العامة قروناً واجيالاً قبل ان يؤمن بها الباحثون وقبل ان يهتدوا الى صحة مصادرها . والعرب اسبق الأمم باعتماد الروايات والأخذ بها . حتى بالغوا في أهميتها وجعلوا الاسناد من أهم أسس تدوين علومهم الدينية والتاريخية .

وأما القول ان عبد الله بن علي العباسي قد نبش قبور بني أمية وأحرق عظامهم بالنار فهذه رواية لا يحسن قبولها الا بتحفظ كبير لأنها قابلة للنقد والتفنيد . وان ذكرها من القدماء المقدمي^(١) وياقوت الحموي^(٢) وابن الأثير^(٣) وابن العبري^(٤) وابو الفداء^(٥) وابن خلدون^(٦) وابن الماروني^(٧) وغيرهم^(٨) . وان جاز لنا التسليم بصحة هذا الحادث فذلك لا يثبت الحقيقة التي توصلنا اليها . لأن وقوع هذا الحادث لا يمكن ان يغيب عن الأذهان ذكرى قبر معاوية لاسيما في مدينة كدمشق اشتهرت في كل أدوارها بتشجيعها لبني أمية ووفائها لعهدهم . والأجدد بهذا الحادث ان صح وقوعه ان يقوى في نفوس مستنكره الحرص على عدم ضياع هذا القبر . لتبقى ذكراه

(١) مروج الذهب جلد ٢ ص ٢١٣ (٢) معجم البلدان [طبع ليبزغ] جلد ٢ ص ٢٩٣ .

(٣) تاريخ الكامل ج ٥ ص ١٦١ (٤) مختصر الدول ص ٢٠٧ (٥) المختصر في أخبار

البشر ج ١ ص ٢١٢ (٦) كتاب المهرج ٣ ص ١٣٣ (٧) تمة المختصر في أخبار البشر ج ١

ص ١٩٢ (٨) روضة الناظر في أخبار الأوائل والأواخر لابن الشحنة المطبوع على هامش الجزء

[١١] من تاريخ الكامل لابن الأثير ص ١٥٣ .

عالقة في أذهانهم ماثلة لأعينهم . فيتناقلوا خبره جيل بعد جيل الى ان سحقت لهم الفرصة فجددوا فيها قبر معاوية على النحو الذي وصفه لنا المسعودي عام ٣٣٢
 وما لا ريب فيه انه كان لبني أمية تربة خاصة بهم وهي التي درسها العباسيون وحرثت وزرعت بعد ذلك نحواً من مئة سنة كما ذكره ياقوت الحموي . وأعتقد ان مساحة هذه التربة كانت ضيقة جداً ولا تتجاوز مساحتها (١٠٠٠) متر مربع أي ما يساوي مساحة باحة المدرسة العادية . وهذه المساحة واسعة بالنسبة لقلة عدد خلفاء بني أمية وعدد من دفن منهم فيها . والمعروف ان نصفهم اي سبعة منهم ماتوا ودفنوا بعيداً عن دمشق . ولو أضفنا الى ذلك ما اشتهر عنهم من نالة الذرية وقصر عهد ملكهم لأصبنا الحقيقة في استنتاجنا هذا . وقد بلغ عدد خلفاء بني أمية اربع عشرة خليفة وحكموا ثلاثاً وتسعين سنة فقط مع انه قد طال حكم الفاطميين مائتين وثمانية وستين سنة وعدد هم يساوي عدد خلفاء بني أمية . ولذلك لا يمكن ان يغيب عن الأذهان في مثل هذه التربة الضيقة آثار قبر مشهور كقبر معاوية . مهما تعدد أعدائه في محو آثاره .
 ان الذي حملني على هذا البحث هو استنكار الناس الحالة التي عليها اليوم قبر معاوية وإهمال أمره حتى أصبح حقيقة عرضة للضياع والاضمحلال . ولذلك ارجو من مجتمعنا العلمي ان ارتاح لما توصلت اليه في بحثي هذا وسلم بصحة نسبة هذا القبر الى معاوية ان يعمل لصيانة هذا القبر ويدعو الأمة حكومةً وشعباً للمساهمة في تجديد قبر معاوية وتشديد ضريح بليق بمكانة هذا الرجل العظيم كاتب وحي رسول الله ومؤسس أعظم دولة عربية عرفها التاريخ .

وبعد تقديم هذا البحث الى الطبع . تفضل الاستاذ الشيخ راغب افندي الطباخ وأرشدني الى نص عثر عليه في تاريخ القرماني ص ٢٦٢ نقلاً عن نجوم الزاهرة وهو : « ان احمد بن طولون قدم دمشق في سنة ٢٧٠ وعمر على قبر معاوية بباب الصغير قبة عالية وعلق فيها فتاديل وجعل فيها القراء » . وأما عبارة النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٤٧ فهي : « وفيها (أي سنة ٢٧٠) بنى احمد بن طولون على قبر معاوية بن أبي سفيان أربعة أروقة . ورتب عند القبر أناساً يقرؤن القرآن ويوقدون الشموع عند القبر » .

دار الحديث السكرية

يهتم أنصار الامام تقي الدين احمد بن تيمية بالبحث عن المدرسة التي كان يقطنها ويدرس فيها بعد أبيه . واذا رجعنا الى كتب التاريخ والتراجم والطبقات لانجد ذكر هذه المدرسة يتردد إلا نادراً في حين أننا نجد لغيرها من دور الحديث والمدارس عشرات المرات من الذكر . وهذا يدلنا على خمول اسم هذه المدرسة وعدم وجود شأن لها وان سبب انتشار ذكرها - قليلاً - هو سكنى الامام تقي الدين احمد وأبيه عبد الحلیم بن تيمية فيها ومع ذلك فالذين ورخوا مدارس دمشق كانت معلوماتهم ضئيلة عنها . فالنعمي في تنبيه الطالب والعلمي والبقاعي في مختصرها للتنبيه يقولون انه كان بها خاتمه ، ويتفق النعمي والعلمي على أن الذين درسوا فيها هم عبد الحلیم بن تيمية ثم ابنه احمد شيخ الاسلام ، ثم الحافظ الذهبي ثم صدر الدين سليمان بن عبد الحكم المالكي ويتفقون جميعاً على أنهم لم يطلعوا على ترجمة واقفها . ومعنى هذا أن تاريخ انشائها مجهول لديهم .

موقعها

يذهب بعض الباحثين في عصرنا الى أنها واقعة في سوق السكرية وانها هي المسجد المسمى اليوم بمسجد السادات الكائن في سوق مدحت باشا لأن قبله يتصل بسوق السكرية أما سوق السكرية فهو السوق الذي فيه باب جامع السنانية الشمالي . وهذا الرأي لا يستند الى نص تاريخي وغاية ما فيه التشابه في التسمية في حين ان دار الحديث السكرية منسوبة لشرف الدين بن سكر أحد الأمراء ، وسوق السكرية عرف بذلك لاختصاص باعة السكر به منذ خمسين عاماً والفرق بين النسبتين ظاهر

موقعها الحقيقي

ان المدرسة الخيضرية (المشهورة في عصرنا بالخيضرية) تعين لنا موقع دار الحديث السكرية وموقع القضاة تماماً . فالنعمي والعلمي والبقاعي متفقون على ان دار

الحديث السكرية بالقصاعين وان المدرسة الخيضرية هي شمالي دار الحديث بالقصاعين أيضاً واذ لم يكن لنا بالقصاعين دار حديث غير السكرية تعين ان تكون هي المرادة وتعين ان تكون واقعة قبلي الخيضرية . واذ ارجعنا الى تاريخ ابن عساكر نراه يشير الى انه كان في مكانها مسجد فهو حينما بعدد المساجد التي قبلي دمشق يقول : مسجد في درب القصاعين سفل عن يسار الداخل . ولو ذهب الانسان اليوم الى القصاعين (حارة الخضرية) لوجد على يسار الداخل اليها مسجداً هو (الخيضرية) واذ كانت (الخيضرية) بنيت عام (٨٧٨) شمالي السكرية اتضح لنا ان السكرية هي مكان المسجد الذي أشار اليه ابن عساكر . ولدينا وثيقة أخرى تثبت ان السكرية قامت مكان مسجد قديم . فعند أحد أصدقائنا نسخة من مختصر تنبيه الطالب للمعموي بخط الشيخ رمضان العطيفي المترجم في تاريخ المحبي كتب على هامشها ما يلي : ان السكرية جددت في أيام الظاهر بيبرس وقد وقفها زكي الدين احمد بن طلائع على الامير شرف الدين بن سكر ثم من بعده مسجداً ودار حديث ووقف عليها اوقافاً وافية على شيخ امام بها من أي المذاهب ، ومؤذن وستة نفر يستمعون الحديث على الشيخ وذلك في شهر جمادى الاولى سنة (٦٧٤) ومن الغريب ان يكتب هذا النص على هامش مختصر تنبيه الطالب ولا يطلع عليه النعيمي ولا من اختصر كتابه . ولم يشر الى هذا النص ابن كثير في تاريخه مع كثرة تتبعه لأمثال هذا البحث . والراجع ان هذا النص صحيح وان لم نعرف مصدره الأول . ومهما يكن فانه يرشدنا الى الزمن الذي تحول فيه المسجد الذي ذكره ابن عساكر الى دار حديث مادام هذا النص يقول عنها : انها جددت

ولدينا وثيقة ثالثة وهي رسالة خطية ضمن مجموع رقم (١٢٨) من مجاميع دار الكتب الظاهرية بدمشق واسمها (السكرية في السكرية) لمؤلف مجهول وخلاصة الرسالة هي : انه في سنة (٧٨٥) اي بعد تجديد بنائها أيام الملك الظاهر بـ [١١١] سنة كان المدرس فيها والناظر عليها الحافظ عبد الرحمن بن رجب

الحنبلي^(١) فجاء شمس الدين محمد بن عبد الكريم التدمري من أكابر تجار دمشق وأعيانهم ومن محبي الشيخ تقي الدين بن تيمية الفقيه الحنبلي وكانت داره مجاورة لدار الحديث السكرية التي تدعى بعض بنائها والبعض الآخر كان بحالة رثة يستدعي الهدم والتجديد - وطلب من قاضي القضاة الحنبلي شمس الدين المشهور بابن التقي المقدمي^(٢) الكشف عن هذه المدرسة والاذن له بهدمها وتوسيعها وعمارتها من جديد فجاء إليها القاضي المذكور ومعه المعمارية المهندسون : المعلم محمد بن العطار معمار الجامع الأموي ، وابن الفارقي ، وابن الزلباني وشاهدوا اشراف بعض الاماكن على الانهدام ، واحتياجه الى الفك فأمر القاضي بكتابة محضر بصورة الحال

والظاهر ان ابن التدمري بعد ان جدد بناء هذه المدرسة ووسعها اراد ان يصير ناظراً عليها ، ففمنع من ذلك الناظر الأصلي وهو ابن رجب الحنبلي ولم يستطع ابن التدمري أخذ حكم من القضاة بنصب نفسه ناظراً عليها فالتجأ الى مؤلف هذه الرسالة - المجهول اسمه لدينا - فألفها له ليثبت ان الحق مع ابن التدمري . ويصف في هذه الرسالة عمارة المدرسة وهيأتها القديمة والحديثة بما لا يخرج عن محضر القاضي ، وبناقش مناقشات فقهية دقيقة . وبأني بنصوص كثيرة مختلفة تتعلق بأحكام الوقف وأحكام هدم المساجد وعمارتها مما يدل على طول باع مؤلفها

ونحن نثبت هنا المحضر الذي شهد به المهندسون وصدق عليه القاضي لما له من القيمة القضائية والتاريخية . فهو وثيقة تاريخية عن محاضر القضاة وأصولها في ذلك العصر يتضمن أشياء غير قليلة عن هيئة المدرسة قبل عمارتها . ويصفها وصفاً دقيقاً بعد العماره كأن الانسان يشاهدها . ويتضمن أيضاً أشياء تاريخية مما يتعلق بدمشق وبعض اصطلاحات معمارية واسمائها في ذلك العصر وهذه صورة المحضر :

(١) لم يذكر التميمي ولا متابعوه عن ابن رجب شيئاً في المدرسة السكرية وهذا مما فاتهم . وابن رجب من أشهر أعلام القرن الثامن ومؤلفيه ومن أشهر مصنفاته طغيات الحنابلة التي ذيل بها على طبقات ابن أبي يلى . ويذكر ابن الهادي انه كان يسكن بالمدرسة السكرية بالنصاعين توفي سنة (٧٩٥)

(٢) هو القاضي شمس الدين محمد بن تقي الدين عبدالله بن محمد بن محمود بن احمد بن عفان المرزداوي الحنبلي ناب في القضاة ثم استقل به وتوفي في رمضان سنة (٧٨٩)

وقف بالاذن العالي القضائي السامي من يضع شهادته أو يوضع عنه من
المعمارية والمهندسين أولي الخبرة بالمعائر على جميع المدرسة بمحلة القصاصين بدمشق
المعروفة قديماً بدار الحديث السكرية المشهورة بشيخ الاسلام تقي الدين احمد بن نعيم
التي حدها كذا^(١) فوجدوا هذه المدرسة ضيقة حرجة على المصلين والمنتهجين بها من
أهلها وغيرهم ووجدوا بابها مربعاً واطياً بنزل إليها منه في أربع درجات . وعتبته
العليا نازلة واطية جداً لا يدخل الداخل منه الا مطأطئاً رأسه بحيث يحصل للدخل
مشقة . ووجدوا ايوان هذه المدرسة القبلي صغيراً يضيق بالمصلين والمحارب لطيف
جداً لا يسع الامام واذا تأخر الامام عنه ساوى المأمومين في الصف^(٢) . ووجدوا
جدران هذه المدرسة من القبلة والشرق وسقفها مشعثة محتاجة الى تجديد عمارة
وفك واعادة ووجدوا أرض هذه المدرسة نازلة عن الطريق بمقدار ذراع ونصف
بغير حاجة ولا ضرورة الى نزولها لأن ماءها عال عليها ، وفي هبوطها ونزولها ضرر
عليها وعلى أهلها والمصلين بها وخصوصاً على جدرانها للدأوة الأرض ، ووجدوا هذه
المدرسة لا طهارة لها يومئذ ينتفع بها أهلها ولا المصلون بها ، ووجدوا على ظهر هذه
المدرسة حجرتين عتيقتين حراسين^(٣) مغميتين على المدرسة مضرتين بها محتاجتين الى
فك وتجديد عمارة . والى جانب هذه المدرسة من الشرق قاعة مختصة بملك الفقير
الى الله شمس الدين محمد بن التدمري وعلى هذه القاعة حجرة فاذا فك جميع عمار
هذه المدرسة سفلاً وعلواً وأضيفت القاعة المختصة بابن التدمري الى هذه المدرسة
توسعة لها وعمل ايوان هذه المدرسة شرقاً وغرباً سبعة أذرع ، وعرضاً : قبلة وشاما
اربعة أذرع ونصف ، وعمل الحائط القبلي الى نهايته بمجاعة صفر وبيت سمي مثل
وجه الحائط القبلي وفي كل واحد من جانبي هذا الايوان الشرقي والغربي بيت وجهه
نسبة الحائط القبلي نضيف (نظيف) وفتح في كل بيت منها ضوايات الى الطريق .
وعمل ظهر الحائط القبلي بمجاعة بيض وعمل علو المحراب في الحائط القبلي قريبات
(١) هكذا في الأصل لم يذكر حدودها (٢) يؤخذ من هذه البارة ان الايوان المذكور
لا ينسج الا لصف واحد من المصلين (٣) مهمة في الأصل فيجتمعت قرايتها خرابتين ويحمل حرايتين
نسبة لحران اما كونها على طراز بناء حران أو نسبة الى الحرانيين الذين تزلوها : ابن نعيم وأبيه

ينحدر منها الضوء الى الابوان المذكور . وعمل تجاه هذا الابوان القبلي ابوان شامي يحاكيه في ارتفاعه وطوله شرقاً وغرباً ، ويكون عرضه قبلة بشام ذراعين . وعمل في كل واحد من جانبيها الشرقي والغربي صفة صفة وعمل لكل واحد من الابوانين القبلي والشامي والصفين الشرقية والغربية جهات حجارة سود وحر مجلية . ولكل واحد من الابوانين والصفين قنطرة حجارة حر وصفر وسود وأبيض يتسمي . وفك الرخام الذي بوسط هذه المدرسة وعمل مكانه بلاط احمر مجلي . وعملت البركة بحجارة حر مجلية ودبشت أرض هذه المدرسة وارتفعت حتى تقارب أرض الطريق وتساوي الطريق اذا بلطت وتساوى أرض المدرسة والطريق ويزول الاحتياج الى الدرج . ونقل باب المدرسة من مكانه الذي هو الآن في جهة الشام مكان باب المطلاع الى ظهرها الموجود يومئذ وعمل مربعاً عالياً متسعاً يدخل منه الى المدرسة بغير كلفة ولا حرج وعمل شبك غربي يطل الى الطريق من الصفة الغربية ارتفاعه ثلاثة أذرع وعرضه ذراع ونصف كل هذه الأذرع بالذراع القاسمي . وعمل لهذه المدرسة طهارة شرقية يتطرق اليها من باب فيما بين الابوان الشامي والصفة الشرقية مقابل باب الحجاز يدخل منه في دهليز من وراء الصفة الشرقية يكون في هذه الطهارة بيتان ويجري الماء اليها من ماء القاعة المذكورة المختصة بملك شمس الدين ابن التدمري ، ومن فائض بركة المدرسة وعمل على ظهر هذه المدرسة بعد اضافة القاعة المذكورة اليها حجرتان احدهما كبرى شامية بمطبخ ومرتفق كاملة المنافع ، والأخرى قبلية بمنافع ومرافق ويبقى بقية ظهر المدرسة كشافاً من الجهات الأربع لانتفاع أهل المدرسة وتكثير الضوء من العراقية ، ووجدوا أيضاً لهذه المدرسة جناحين بارزين قبلةً وغرباً ببرمقنيات ومرسل بروز الجناح القبلي في شرقه ذراع واحد وفي غربه ذراع ونصف . وبرز الجناح الغربي البرمقنيات ذراع ونصف والمرسل ذراع ويشهدون مع ذلك ان الفقير الى الله شمس الدين بن التدمري اذا تبرع بالقاعة المذكورة المختصة بملكه وأضافها الى هذه المدرسة وعمل هذا العمل المذكور على الوجه المذكور والصفة المشروحة من ماله متبرعاً به ابتغاء وجه الله ومرضاته ورجاء الثوابه كان في ذلك حظ ومصلحة له وللمدرسة ولأهلها والمصلين

بها والمنتفعين بها وكان شمس الدين ابن التدمري الأجر الجزيل هذه صورة ما وجدوا وذلك في شهر المحرم سنة خمس وثمانين وسبعائة . وخط المعارية :

وقفت على ذلك والأمر كما شرح له
كتبه محمد بن محمد الطارم مهار الجامع الاموي
المعلم احمد بن محمد بن عبد الرحمن
الزلباني وكتب عنه ما اذنه
خط القاضي : شهد عندي بذلك
خط القاضي : شهد عندي بذلك

وقفت على ذلك وشهدت بمضمونه
كتبه احمد بن عثمان الرقي مهار الجامع
خط القاضي : شهد عندي بذلك

صورة خط القاضي في الهامش نوقياً للمسجل
أشهد بثبوت ما قامت به البيئة فيه والاذن للخواجه شمس الدين المسمى فيه في
عمل ذلك بعد التزامه بتكميل ذلك وعمله على الوجه المشروح فيه مع العلم بالخلاف .
كتب المحضر المذكور هو الشيخ تقي الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن الخنيلي امام
المدرسة السلامية بدمشق وهو المسجل على القاضي ومقتضاه : شهد في قاضي القضاة
شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الشيخ الامام تقي الدين عبد الله المقدسي الخنيلي الحاكم
بدمشق انه ثبت عنده مضمون المحضر المذكور بشهادة المعارية الذين اعلم على اسمائهم
ثبوتاً شرعياً وانه اذن للخواجه شمس الدين محمد بن التدمري في عمل ذلك بعد التزامه
بتكميل ذلك وعمله على الوجه المشروح مع علمه بالخلاف بين العلماء فيما فيه الخلاف
من ذلك في صفر سنة خمس وثمانين وسبع مائة

هذا نص ما وجدناه في الكتاب الخطي المسمى بالسكركية في السكركية اثبتناه
لما فيه من طرافة تاريخية فهو يمثل لنا دار الحديث السكركية خير تمثيل قبل تجديدها
بنائها وبعده ، ويحفظ لنا ألفاظاً عديدة كانت مستعملة في ذلك العصر كالقمرية
والضوابة والعراقية وبيت سمي للقربة الشهيرة ببسما ودبش الأرض والبرمقيات ،
ويصور لنا السكركية مدرسة ضيقة صغيرة قبل تجديدها وبعده ومن مجموع صفاتها
نستطيع ان نقول انها تشبه من جهات عديدة دار القرآن الخيضرية خصوصاً مساحتها
وابوابها القبلي والشمالي ومدخلها . وبعد فلم يبق للسكركية أثر في عصرنا وأصبحت
داراً من الدور وموقعها قبلي جامع الخضرية قرب باب الجالية كما تقدم محمد احمد دهمان

مخطوطات ومطبوعات

الامتناع والموانسة

تأليف أبي حيان التوحيدي صححه وضبطه وحققه الأستاذان احمد امين بك واحمد الزين
طبع في القاهرة سنة ١٩٦٤ في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
الجزء الثالث ص ٢٣٠ عدا الفهارس

صدر هذا الجزء وهو الأخير من كتاب الامتناع والموانسة (راجع الكلام على الأول والثاني في م ١٦ ص ٣٦٣ وم ١٧ ص ٥٤٤ من هذه المجلة) وفي هذا الجزء كطربديه كل ممتع من أحاديث أبي حيان مع الوزير ابن العارض في الأربعين ليلة التي سامر بهما . ومن أهم ما في هذا الجزء ما نقله المسامر من وصف أحد البلغاء للتجار وقوله لا يوجد الأدب الا عند الخاصة والسلطان ومديره وأما اصحاب الأسواق فانا لا نعدم من أحدهم خلقاً ذمياً الى آخر ما قال فيهم [ص ٦١] وقول الوزير له : ان كان هذا الواصف عنى العامة بهذا القول فقد دخل في وصفه الخاصة أيضاً فوالله ما اسمع ولا أرى هذه الاخلاق الاشائعة في أصناف الناس من الجند والكتاب والتناء [الأعيان] والصالحين وأهل العلم لقد حال الزمان الى أمر لا يأتي عليه الثمت ولا تستوعبه الأخبار وما عجبني الا من الزيادة على مر الساعات . ومن أجل ما فيه قول الوزير [ص ٨٥] «انه ضاق صدره بالغيب» لما يبلغه عن العامة من خوضها في حديث الأمراء وسيرتهم وتنبع أسرارهم وانه هم في الوقت بعد الوقت بقطع السنة وأيدي وأرجل وتتكيل شديد لعل ذلك يطرح الهيبة ويحسم المادة ويقطع هذه العادة . وقول أبي حيان ان عنده جوابين فيهما بعض الغلظة وقال ان الحق مر ومن توخى الحق احتمل مرارته فأراد الوزير على ايرادها وقال : ليس يبتفع بالدواء الا بالصبر على بشاعته وصدود الطبع عن كراهته فكان الجواب الأول مقتبساً من كلام شيخه أبي سليمان المنطقي وفيه تحليل مرخوض الناس في أمور الحكام وخلاصة الجواب الثاني ما رواه جماعة من الصوفية قصدوا الى جماعة

من الزهاد في أيام الفتنة بخراسان وسؤال هؤلاء لأول ساعة عن الأخبار وما كان من الفتنة واستغرابهم ان يهتم أمثالهم لمثل هذه الأمور الدنيوية ، وكشف ابي الحسن العامري الفيلسوف لهم مرة ذلك لما سألوه حل هذا الاشكال وكل ذلك ببيان عجيب يفهم منه روح ذاك العصر .

ومما حمله هذا الجزء فصل ممتع في الإرادة والاختيار والنفس تنشر به النفوس مما كانت بعيدة عن معاناته لأنه كتب بذوق متناه . وسأل الوزير ليلة : من أين دخلت الآفة على أصحاب المذاهب حتى افرقوا هذا الافتراق وتباينوا هذا التباين وخرجوا الى التكفير والتفسيق واباحة الدم والمال ورد الشهادة واطلاق اللسان بالجرح والقذع والتهاجر والتقاطع . فكان الجواب : ان المذاهب فروع الأديان والأديان أصول المذاهب فاذا ساغ الاختلاف في الأديان وهي الأصول فلم لا يسوغ في المذاهب وهي الفروع . فقال : ولا سواء الأديان اختلفت بالأنبياء وهم أرباب الصدق والوحي الموثوق به والآيات الدالة على الصدق وليس كذلك المذاهب . فقليل : هذا صحيح ولا دافع له ولكن لما كانت المذاهب نتائج الآراء والآراء ثمرات العقول والعقول منائع الله للعباد وهذه مختلفة بالصفاء والكدر والكمال والنقص وبالقلة والكثرة وبالخفاء والوضوح وجب أن يجري الأمر فيها على مناهج الأديان في الاختلاف والافتراق وان كانت منوطة بالنبوة . وبعد فما دام الناس على فطر كثيرة ، وعادات حسنة وقبيحة ، ومناشئ محمودة ومذمومة ، وملاحظات قريبة وبعيدة ، فلا بد من الاختلاف في كل ما يختار ويختب ولا يجوز في الحكمة ان يقع الاختلاف فيما جرى مجرى المذاهب والأديان ، الا ترى ان الاتفاق لم يحصل في تفضيل أمة على أمة ولا في تفضيل بلد على بلد ولا في تقديم رجل على رجل ، ولو لم يكن في هذا الأمر الا التعصب والحجاج والهووى والحك والذهاب مع السابق الى النفس والموافق للمزاج والخفيف على الطباع والمالك للقلب لكان كافياً بالغا بالانسان كل مبلغ . وشيخنا ابو سليمان يقول كثيراً ان الدين موضوع على القبول والتسليم والمبالغة في التعظيم وليس فيه « لم » و « لا » و « كيف » الا بقدر ما يؤكد أصله ويشد ازره وينبي عارض السوء عنه لأن ما زاد على هذا يوهن الأصل بالشك

ويقدح في الفرع بالتهمة . قال وهذا لا يخص ديننا دون دين ولا مقالة دون مقالة ولا نخلة دون نخلة بل هو سار في كل شيء في كل حال في كل زمان وكل من حاول رفع هذا فقد حاول رفع الفطرة ونفى الطباع وقلب الأصل وعكس الأمر وهذا غير مستطاع ولا ممكن .

ومما كتب به التوحيدى الى الوزير وهو ما يستدل منه انه كان سفير خير قوله يجب على كل من آتاه الله رأياً ثاقباً ونصحاً حاضراً وتنبهاً نافعا ان يخدمك متغرباً لرسوخ دعائم المملكة بسياستك وريادتك قاضياً بذلك حق الله عليه في تقويتك وحياطتك . واني أرى على بابك جماعة ليست بالكثيرة - ولعلها دون العشرة - يؤثرون لقاءك والوصول اليك لما تحن صدورهم من النصائح النافعة والبلاغات المحببة والدلالات المفيدة ويرون انهم اذا أهلوا لذلك فقد قضا حَقُّ وأدوا ما وجب عليهم من حرماتك وبلغوا بذلك مرادهم من تفضلك واصطناعك وتقديمك وتكريمك والحجاب قد حال بينهم وبينك ولكل منهم وسيلة شافعة وخدمة للخيرات جامعة منهم - وهو أهل الوفاء - ذوو كفاية وأمانة ونباهة ولباقة ومنهم من يصلح للعمل الجليل ولرتق الفتق العظيم ، ومنهم من يتمتع اذا نادى ويشكر اذا اصطنع ويبدل المجهود اذا رفع ومنهم من ينظم الدر اذا مدح ويضحك النفر اذا مزح ومنهم من قعد به الدهر لسنه العالية وجلايبه البالية فهو موضع الاجر المذخور وناطق بالشكر المنظوم والمنثور ومنهم طائفة أخرى قد عكفوا في بيوتهم على ما يعينهم من أحوال أنفسهم في تزجية عيشهم وعمارة آخرتهم وهم مع ذلك من وراء خصاصة مرة ومؤن غليظة وحاجات متوالية ولهم العلم والحكمة والبيان والتجربة ولو وثقوا بأنهم اذا عرضوا انفسهم عليك وجهزوا ما معهم من الأدب والفضل اليك حظوا منك واعتزوا بك لحضروا بابك وجسموا المشقة اليك لكن اليأس قد غلب عليهم وضعفت منتهم وعكس أملهم ورأوا ان سف التراب أخف من الوقوف على الأبواب اذا دنوا منها دُفَعوا عنها فلو لحظت هؤلاء كلهم بفضلك واديتهم بسعة ذرعك وكرم خيمك وأصغيت الى مقالتهم بسمعك وقابلتهم بملء عينك كان في ذلك بقاء للنعمة عليك

وصيت فاش بذكرك وثواب مؤجل في صحيفتك وثناء معجل عند قريبك وبعيدك
والأيام معروفة بالنقلب والليالي ماضية بما يتعجب منه ذواللب والمجدود من جد
في جده اعني من كان جده في الدنيا موصولاً بحظه من الآخرة ولأن يوكل
العاقل بالاعتبار بغيره خير من أن يوكل غيره بالاعتبار به . ايها الوزير اصطناع
الرجال صناعة قائمة برأسها قل من يفي بربطها أو يتأق لها او يعرف حلاوتها وهي
غير الكتابة التي تتعلق بالبلاغة والحساب .

وفي هذا الجزء كثير من درر الأقدمين خليقة بأن يتنافس في اقتنائها وينظر
فيها الدارسون نظر تأمل وتفكير ونكرر ثناء للأستاذين الناشرين ولجنة التأليف
والترجمة والنشر التي أخرجت الكتاب في هذا الوقت الصعب على أحسن ما يجب
نشره للناس ورجاؤنا ان توفق الى نشر أمثاله خدمة للآداب وإحياء لآثار أجدادنا

محمد كرد علي

ابن الرومي : حياته من شعره

عباس محمود العقاد

لم يقص الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه : ابن الرومي ، قصة هذا الشاعر
ولا سرد أخباره على نحو ما نقص القصص وتسرد الأخبار عادة ، مجردة من عناصر
الحياة ، وإنما صور الأستاذ العقاد شاعره ابن الرومي تصويراً ، والصورة إذا لم تكن
ناطقة كانت غير بارعة ، ولكن الأستاذ العقاد جمع لصورته عناصرها كلها ، فلم
يفنّه شيء من خطوطها وألوانها ، ولا من ظواهرها وبواطنها حتى أصبحت صورته
كأنها جسم حي وكأنها روح ناطقة .

شرع الأستاذ في وصف عصر ابن الرومي ، فوصفه وصفاً أقل ما يقال فيه ان
القارئ يحس بأنه من أهل ذلك العصر يشهد آثار الغضب والفنك والدياسيس في
الدولة ، ويلس آثار الترف واللهو في المجتمع ، وعلى الجملة فإن العصر الذي عاش
فيه ابن الرومي إنما هو عصر سلب وغيلة واغتنام فرص وانتهاج لذات وشك وتشعب ،
ولكن من محاسن ذلك العصر صلاحه لعقوبة شاعر مثل ابن الرومي لأنه عصر
حي حافل بأشتات الحياة وألوان الاحساس .

ولم يقتصر الأستاذ العقاد على مجرد وصف العصر الذي عاش فيه ابن الرومي وإنما وضع الصلة بين الشاعر وبين عصره فلم يكن ابن الرومي غريباً عما كان يجري في عصره من صفك دم أو من ذوق لذة وغير ذلك وإنما كان شعره في بعض المواطن مرآة ثورية أو لذة .

وعلى هذا النحو من التوضيح والتفصيل سار الأستاذ العقاد في اتمام صورة ابن الرومي ، فما كان يخرج من فصل عصره حتى يدخل في فصل أخباره وما كان يخرج من فصل أخباره حتى يدخل في فصل حياته وكل همه في هذه الفصول ان تكون صورة ابن الرومي كاملة غير مشوهة ، ناطقة غير جامدة ، مشرقة غير كامدة وإذا أعوزه شيء من الخطوط والألوان استعان بشعر ابن الرومي نفسه فاستخرج منه ما يعينه على استكمال الصورة حتى لا يحتاج الى شيء من الوضوح والإشراق بحيث انك لا تقرأ كتاب : ابن الرومي ، الا وجدت فيه وحدة تامة بين شعره وحياته ، وهذا ما حرص عليه الأستاذ العقاد في كتابه كله ، لقد حرص على بيان الطبيعة الفنية في ابن الرومي ، وهي التي تجعل من الشاعر جزءاً من حياته ، فابن الرومي وفنه كانا شيئاً واحداً ، كان ابن الرومي شاعراً ولو لم يكن شاعراً لما استطاع ان يكون مثلاً فيلسوفاً أو وزيراً أو غير ذلك .

ولم يكن اهتمام الأستاذ العقاد بالفصول التي تصور عبقرية ابن الرومي أو فلسفته أو صناعته أقل من اهتمامه بالفصول التي تصور حياته المادية ، لقد كانت صورة ابن الرومي كاملة من الناحيتين : من ناحية الحياة المادية ومن ناحية الحياة الفنية ، لم يهمل الأستاذ العقاد شيئاً مما يوضح عبادة ابن الرومي للحياة أو حياته مع الطبيعة أو التقاطه للصور والأشكال أو تشخيصه للمعاني أو تقديمه الجمال على الخير أو نظرتة الى الدنيا نظرتة الى المعرض المنصوب للتلمي والمتعة الى غير ذلك من خصائص عبقرية ابن الرومي وهي خصائص العبقرية اليونانية على وجه عام .

وهكذا كانت براعة الأستاذ العقاد في وصف فلسفة ابن الرومي وصناعته . وأظن ان كتاب : ابن الرومي انما هو عنوان قدرة الأستاذ العقاد ، ولا أرى بي حاجة الى زيادة في القول .

سعد زغلول

عباس محمود العقاد

من محاسن حظ الأستاذ عباس محمود العقاد ان يكون موضوع كتابه رجلاً مثل سعد زغلول ، ومن محاسن حظ سعد زغلول ان يكون الخلد لذكراه كاتباً مثل الأستاذ العقاد ، لقد كانت حياة سعد وقدرة الأستاذ العقاد متلازمتين ، اذ ليس من الأمر اليسير الكلام على الزعامات السياسية في بلاد مثل بلادنا حيث نجد للزعامات مقاييس غريبة لا نجد أشباهها في البلاد التي تعرف معنى الزعامات وتعرف ما تقتضيه هذه ، الزعامات من الصفات العقلية فضلاً عن الصفات الخلقية .

لقد تقرر في الشرق الزعامات السياسية بالذي نسميه : الوطنية ، ولكن الوطنية في الشرق لها معنى خاص بالنظر الى وضعه السياسي ، فالوطنية في الشرق تعظم أو تصغر على قدر بعد صاحبها عن الأجنبي أو قربه منه ، وعلى قدر التحريض عليه أو الترغيب فيه ، غير ان السياسة تتغير في كل فرصة ، فقد يكون المحرض وطنياً ثم يصير تحريضه على الأجنبي الى الترغيب فيه فيظل وطنياً ، أما الوطنية بمعناها المؤلف في بلاد العالم وأريد بها الخنو على بقاع الوطن والغني بمحاسن هذه البقاع فهذا شيء لم نألفه بعد .

من أجل هذا كله أرى الكلام على الزعامات السياسية دقيق المذهب ، لأن السياسة زائلة أو متحولة ، فهي لا تثبت على وجه واحد في كل يوم لها وجه خاص وتخلد صاحبها في كتاب أمر غير هين ، فقد يكون الزعيم السياسي في يوم من الأيام وطنياً من الطراز الأول ثم يأتي يوم آخر يجردونه فيه اما من وطنيته كلها واما من بعضها ، لقد كان كليمنصو في الحرب الماضية رجل فرنسة ومنقذها ، ولما انقضت الحرب لم تعرف فرنسة له قدره .

أما سعد زغلول فلم تقتصر عظمته على صفاته السياسية أو الوطنية وحدها ، وإنما كانت هذه العظمة مقرونة بخصائص خلقية وعقلية ثابتة تجعل من صاحبها رجلاً عظيماً لا تزول عظمته بزوال الأحوال السياسية التي لازمتها ، الا ان الحكمة كل

الحكمة في الاهتداء الى هذه الخصائص واستخراج أسرارها من مكانها والوصول الى كل ناحية من نواحيها ، ولقد تيسر للأستاذ العقاد ان يخاطب سعاداً وان ينصفح أخلاقه وبدقق في نتائج فكره وحسه وشعوره ويسمع أحاديثه في مجالسه ويبلغ الى مواطن القوة فيه سواء أكانت هذه القوة في خلقه أم في عقله أم في منطقته ، ولقد دون هذا كله بعد شيء من الشرح والتعليل ، وفي شيء من الكلام السهل ، فإذا كان كتابه عظيماً فهذه العظمة ناشئة عن مربين ، لقد أوحى سعد الى الأستاذ العقاد معاني جليلة من شخصيته فعرف الأستاذ العقاد كيف يبسطها وكيف يوضحها حتى يكون الكتاب المشتمل عليها كتاباً مذكوراً في عالم الأدب

س ج

تذكار جيتي

عباس محمود العقاد

إذا رأى بعض الأدباء غموضاً أو تعقيداً في طائفة من كتابات الأستاذ العقاد فإنهم لا يرون في كتابه : تذكار جيتي الا سهولة في التعبير ووضوحاً في الفكر وقوة في التركيب ، فقد ظهر الأستاذ العقاد في كتابه هذا في حقيقة مظهره ، بعد عن الآفاق الفلسفية او الاجتماعية التي قد يصعب تصويرها في بعض الأحيان دون ان تظهر على هذا التصوير آثار الغموض والتعقيد ، وذلك اما لأن مزاج المصور غريب عن المزاج الفلسفي المعقد واما لأن هذا المصور لم يهضم المعاني الفلسفية او الاجتماعية الحديثة ، فقد أوتي الأستاذ العقاد في كتابه : تذكار جيتي نصيباً غير قليل من صفاء الذهن وصفاء الأسلوب معاً .

وإذا لم يتيسر التبسط في الكلام على محتويات هذا الكتاب في مثل هذا المقام ، فقد تيسر الإشارة الى هذه المحتويات ، فقد تكلم الأستاذ علي « جيتي » من حيث

جمعه لثورات المانية كلها فقد كان «جيتي» سليل الكنيسة الثائرة على الطبيعة ، والقاعة الثائرة على الكنيسة ، والمدينة الثائرة على القلعة ، والفرد الثائر على المدنية ، ثم حلل النفس الألمانية تحليلًا مختصرًا فقد اجتمعت في هذه النفس عناصر شتى : التدين والفلسفة والسحر والموسيقى والأناشيد والأحلام و ثم أتى على تأريخ الحرية الفنية في المانية ، ثم تكلم على المؤثرات الغربية في «جيتي» ولم يقتصر على تأثير الغرب وحده فأشار الى تأثير الشرق في «جيتي» فقد اتصلت به عناصر شرقية وأثرت فيه بعض التأثير ، فللعربية بعض الفضل في تثقيفه وتغذية خياله لأن آداب العرب وصلت الى الألمان قبل «جيتي» عن طريقين : عن طريق الترجمة من العربية الى الألمانية وعن طريق الآثار التي ترجمت عن الانجليزية والاسبانية والفرنسية وكانت فيها مسحة واضحة من الآداب العربية ، ودبوان «جيتي» ، واسمه : الديوان الشرقي أكبر دليل على عمل الأدب العربي فيه فقد نسج فيه على منوال الشرقيين والعرب في الغزل والوصف والحنين .

وبعد ان فرغ الأستاذ العقاد من هذه المباحث وصف حياة «جيتي» فقد عاش «جيتي» حياته كلها في ربيع ناضر من نسج الفن والطبيعة على السواء ، وأفاض في حياته في مباحث شتى : في الشعر والشريعة والسحر والتصوير والموسيقى والطب والمعادن والنبات .

وليت المجال يتسع لتلخيص ما ذكره الأستاذ العقاد من آثار المرأة في حياة «جيتي» أو ما وصفه من مؤلفاته مثل : «آلام قرن» أو «فوست» أو «ويلهم ميستر» أو الديوان الشرقي أو غيرها أو ما صورته من عبقريته وشخصيته وعقيدته وآرائه وتقديره . وقد ختم الأستاذ العقاد رسالته بانتخاب طائفة من كلام «جيتي» .

فكتاب : تذكار جيتي في مقدمة كتب الأستاذ العقاد التي تكشف لنا عن

حقيقة أسلوبه .

ش . ج

الحكم المطلق في القرن العشرين

عباس محمود العقاد

حدثنا الأستاذ عباس محمود العقاد في رسالته : الحكم المطلق في القرن العشرين ،
 بنعمة الديمقراطية وتمثيل الشعب ، فقد دافع عن الديمقراطية وحذر المستبدين من
 عزل الشعوب عن الحكم وحذر الكتاب المسرفين في نقد الديمقراطية من عواقب
 تقدم لأنه اذا بطل الايمان بها فلن يخلفها نظام أصلي منها ، وقد نجد الأستاذ
 في خلال كلامه على زعامة مصطفى كمال يدعو الى الزعات ولكنه يدعو الى الزعامات
 التي تنهض بالأمم فوق ضعف الحرص وفوق ضعف الشهوات الباطلة والعروض الزائلة .
 كل هذا لا اعتراض عليه فقد كان دفاع الأستاذ العقاد عن الديمقراطية دفاع
 المؤمنين بها ، فهي لم تفشل في نظره وهي ستكون أساساً للحكم في المستقبل تبني
 عليه قواعد الحكومات واذا قيل ان الجماهير يخدعها الزعماء وتؤخذ بالمظاهر وتستمال
 الى العقائد التي تبث فيها بالابحاء والتكرار فهذه الأطوار لم تكن ملقاةً في
 العصور الماضية ولا كان شأنها ضعيفاً في تصريف الأمم وقيادة الحكومات .

الآن اني أرى ان مماثلة عيوب الحكومات الشعبية في الحاضر لعبوب الحكومات
 المستبدة في الماضي لا تنفي نقائص الحكومات الشعبية فإذا كانت الحكومات المستبدة
 فاسدة في الماضي فلا عذر للحكومات الشعبية في ان تكون فاسدة في الحاضر ،
 لاشك في ان النظام الديمقراطي أرفع ما وصل اليه عقل البشر من أشكال الحكم
 ولكن هل تتعمق قليلاً في الكشف عما يؤدي اليه هذا النظام في بعض الأمم ،
 أفلا نجد ان الحياة النيابية فيه تحرم في كثير من الأحيان البلاد التي يستفيض
 فيها عبقرية غير قليل من العلماء والفلاسفة والأدباء ومن هم من هذه الطبقات المستنيرة
 فلا يشتركون في حكم الأمة ولا يرجع الى رأيهم في سياستها وذلك لأنهم
 بعيدون عن الميادين الانتخابية فلا يخوضون مسالكها الوعرة اما من باب الحرص
 على كراماتهم لأنهم يرفعون عن هذه الأحقاد الحزبية التي تتأجج نيرانها في أثناء
 الانتخاب واما من باب النفرة من المظاهر الخداعة فإن علمهم المبني على الحقيقة وحدها

قد نزعهم عن استعمال الأساليب المبنية على شيء آخر غير الحقيقة مما يستعمل في غضون الانتخابات فان اللجوء الى الفاظ أصبحت مشهورة في الحياة النيابية بلجأ اليها أصحابها في الميادين الانتخابية للظفر بفيانياتهم ثم تنقضي معارك الانتخاب وإذا بهذه الألفاظ تتلاشى ولا حقيقة من وراءها ، أقول ان اللجوء اليها مما يترفع عنه العلماء والفلاسفة والأدباء فلا يرفع لهم صوت في المجالس النيابية ولا يكون لآرائهم السديدة تأثير ، فإذا كانت للحياة النيابية في النظام الديمقراطي نقائص فهذه أمور من جملة نقائصه .

ثم إذا قابلنا بين الحكومات المستبدة وبين الحكومات الشعبية وجدنا ان الروح فيها واحدة ، ففي الحكومات المستبدة يتسلط فرد من أفراد الأمة على ضمائرها وعقائدها وغير ذلك فيصير فيها كيف شاء وفي الحكومات الشعبية يتسلط حزب من الأحزاب على الأمة تسلط الفرد فيصير فيها كيف شاء وكثيراً ما نجد في مجلس نيابي خمسمائة أو ستمائة نائب ولكن الذين يقودون هؤلاء النواب أربعة أو خمسة ولما كانت القضايا في المجالس النيابية لا تحل الا بأكثر الأصوات فلا يصعب على خمسة نواب ان يجروا المجلس كله الى مشيئتهم وإرادتهم بالبلادة أو بتأثير آخر ، فأين يصبح حق الشعب ، وأين يصبح حق تمثيله ، فإذا بحثنا عن الديمقراطية فن الواجب علينا أن نشير الى هذه النقائص فيها ، فلم يكن حكم الفرد فاسداً بطبيعته ففي تأريخنا عصور كان الخليفة فيها مرجع كل شيء في الدولة وكانت هذه العصور أنصر ما عرفه التاريخ في العدل والإنصاف ، وكذلك نعرف عصوراً قد تكون حديثة نجد الشعب فيها مصدر الحكم في الدولة ثم نجد في هذا الحكم من سوء التصرف والسياسة والإدارة والخروج على القوانين والأحقاد وغير ذلك مما لا نجد في عصور حكم الفرد فالحكومات المستبدة لم تكن فاسدة بطبيعتها وإنما نشأ فسادها عن فساد الذين كانوا مصدر الحكم فيها ، ولا ينبغي ان يستنبط من هذا القول تفضيل الحكومات المستبدة على الحكومات الشعبية التي أصبحت أفضل شكل من أشكال الحكم في هذا العصر ، وإنما الذي أريد ان أقوله انما هو الإشارة الى نقائص الحكومات الشعبية فإذا ذهبت هذه النقائص وأشباهها كانت الحكومات الشعبية الغاية المثلى في الحكم .

تصحيح نهاية الأرب

جزؤه الثالث عشر

ص ٣ س ٣ قوله : [ونفوهت بأخبار من نبغ من أهلها] أي أهل كل دولة من دول التاريخ ، ومعنى [نفوهت] نطق . ولا يقال في مثل هذا المقام [نطق] وإنما يقال [نوهت] ففي كتب اللغة : نوه فلان بفلان إذا رفع ذكره ومدحه وعظمه . وهذا هو المراد هنا . فإن المؤلف يمدح التابعين من كل دولة ويشيد بذكورهم . ص ٣ س ٩ قوله : [ولم أعرج في الآخر إلا بالإشارة إليها] فعل التعرّيج بتعدي يعلى لا بالياء . ففي التاج [التعرج على الشيء الإقامة عليه ، وفي الحديث : فلم أعرج أي لم أقم ولم أحتبس] فالعنى في عبارة المؤلف إني لم أحبس قلبي على شيء إلا على الإشارة إليها ، ولم نجد لهم ذكراً ان فعل التعرّيج بتعدي بالياء ، ولعل تعديتها بها هنا من ذهول المؤلف لا من خطأ الناسخ

ص ١١ س ٢١ قوله : [ففتحها] صوابه [فتفتحها] إذ أن الضمير يرجع إلى العينين ، وهو خطأ مطبعي

ص ٢٥ س ١٤ لما أخذ الله الميثاق على ذرية آدم وهم في ظهره كان أول من أجاب وخرج سيدنا محمد ﷺ قال المؤلف : [ونادى الى ذات اليمين وهو يقول : أنا أول من يشهد لك بالتوحيد الخ] فقلوه [ونادى الى ذات اليمين] صوابه : [وأوى الى ذات اليمين] أي مال ولجأ إلى الجهة اليمنى فتبوأها صلى الله عليه وسلم ونزل بها ، ومنه قوله تعالى : [إذ أوى القتيبة الى الكهف] [أرايت إذ أوبنا الى الصخرة] وفي انخيازه صلى الله عليه وسلم الى جهة اليمين إشارة الى أنه من أهل الجنة السعداء لا من أهل المشأمة الأشقياء

ص ٢٩ س ١٤ لما أخرج آدم وحواء من الجنة اضطر الى قضاء الحاجة فبكى [ثم أمرهما الملك ان يمسحا بالمدر ، ثم يغتسلا بالماء] يعني انه علمهما آداب الاستنجاء في الإسلام ، كما علمهما الوضوء فتوضأ وضوء الإسلام . وآداب الاستنجاء كما قال الفقهاء هي الجمع بين المسح والغسل بالماء . فقلوه [ثم يغتسلا بالماء] صوابه [ثم يغسلا] أي محل النجس بالماء بعد ان يكونا مسحاه بالمدر أي التراب

ص ٦١ س ١ قوله : [وان شئت بقاء سبع نوايات من تمر] يسأل الملك لقمان إذا كان يريد ان يبقى في الحياة الدنيا بقاء سبع نوايات تمر . والنوايات جمع نواة فقوله [نوايات] بألف بعد الواو خطأ والصواب حذف الألف

ص ٦٧ س ١١ قوله : [فقال فتي منهم حدث السن] خطأ صوابه [حدث السن] وعبارة المصباح [يقال للفتى حديث السن فإن حذف السن قلت حدث بفتحين] أي من دون إضافة حدث الى السن

ص ٩١ س ٦ : وأمر الله الرياح الأربع [فضمت ما كان لأهل الرس من متاع الخ] هذا حين أراد الله إهلاكهم بسبب عصيانهم . وفعل الريح في كسح ما كان على وجه الأرض من متاع وفتات يسمى كنساً وقماً لا ضمّاً ، فصواب [فضمّت] : [فقمّت] ، يقال : قم البيت قمّاً كنفسه . والقمامة : الكناسة

ص ٩٣ س ٢ : كان أهل الرس يعبدون شجرة صنوبر يقال لها [ساب درحب] وقوله [درحب] كتبت بحاء مهملة وباء موحدة . وصوابه [درخت] بخاء معجمة وتاء مثناة في الآخر ، وهي كلمة فارسية معناها الشجر ، ومنه الشجر المسمى [ازدرخت] ، وأصله بالفارسية [آزاد درخت] ويجرفه عوام الشام الى [زرنخت] و [زلزلخت] واسمه بالعربية [قيقب] و [قيقبان] وما يحسن ذكره ان شجرة الصنوبر التي يعبدها أهل الرس ويسمونها [ساب درخت] كلمة [ساب] فيها تذكرنا بكلمة *sapin* الفرنسية التي معناها شجرة الصنوبر . فهل هذه من تلك يا ترى ؟

ص ٩٣ س ٢ : [كان يافت غرس شجرة الصنوبر المذكورة على شفير عين يقال لها [دوسات] . وكلمة [دوسات] كتبت بسين مهملة وتاء مثناة في الآخر . وصوابها [دوشاب] بشين معجمة وباء موحدة . قال الخفاجي في كتابه «شفاء الغليل» . [الدوشاب نبذ التمر معرب] . وذكرت كلمة الدوشاب في شعر لابن المعتز ، وكذا في شعر لابن الرومي ، وفسرها شارح ديوانه بالنبذ الأسود . وقال السمعاني الدوشاب هو الدبس بالعربية . ١٠ هـ قول الخفاجي : وسألت إيرانياً من سكان دمشق عن [الدوشاب] في لغتهم ، فقال هو الشيرا . ولا يخفى ان [الشيرا] لفظة تركية معناها عصير العنب

الذي اعتصر حديثاً فأصبح حامضاً ولم يصل إلى درجة الإسكار ، وهو المسعى بالعربية [مسطار] بضم الميم أو كسرهما . وقد اختلفوا في أصل مسطار حتى قال بعضهم إنها رومية تلقفها أهل الشام من سكان سوريا الأصليين . والحاصل ان [الدوشاب] شراب يتخذ من عصير العنب سميت به عين الماء التي غرس يافث عليها شجرة الصنوبر المسماة [شباب درخت]

ص ٩٦ س ١٩ : [وهو الذي أنشأ كوثاربا من أرض العراق] . قوله [كوثا] كذا بالألف ، وصوابه [كوثى] بالياء المقصورة لأن [كوثى ربا] ليس كلمة واحدة بل هما كلمتان : [كوثى] مضافة الى [ربا] قال صاحب كتاب « مرصد الاطلاع في اسماء الأمكنة والبقاع » : (و كوثى بالعراق في موضعين [كوثى الطريق] و [كوثى ربا] وبها مشهد ابراهيم الخليل عليه السلام ، وهما قربتان الخ . وقد كتبت [كوثى] بالياء المقصورة في آخرها . وفي القاموس وشرحه [و كوثى] بلدة بالعراق وتسمى [كوثى الطريق] و [كوثاربا] من ناحية بابل بأرض العراق أيضاً وفيها ولد الخليل وطرح في النار) ٥١ . وقد كتبت [كوثى] بالياء المقصورة كما ذكرت . فالواجب تصحيحها في هذه الصفحة وص ٩٨ وص ١١١ وكل صفحة سواها

ص ١٠٥ س ١٨ : [وبينا ابراهيم ، اعداً] كذا بالنصب وصوابه [قاعد] بالرفع على الخبرية كما ورد مرفوعاً في أول ص ١٦٩ إذ قال ثمة : [فبينما هو مشتغل بالذكر] ص ١٠٨ س ١٠ : [وأدخل - أي ابراهيم الخليل - المضيق تحت الأرض] صوابه : [المطبق] . قال في مستدرك التاج : [المطبق كمحسن سجن تحت الأرض] ويؤيد هذا ما جاء في الصفحة نفسها ص ١٥ : [وكان ابراهيم يسلي أهل السجن] ص ١١٢ س ١ : [فأمر بالنور فأشجر فطرح ابراهيم فيه] قوله : [فأشجر] مصدره الإشجار . ولم أعثر عليه في كتب اللغة وإنما هو ثلاثي سجره سجرأ ، ومن التفعيل سجره تسجيرأ . ولا دخل للناسخ في هذا الخطأ بل السهو فيه من المؤلف في غالب الظن ص ١١٥ في السطر الرابع وسطور أخرى تلتها ورد اسم [سارة] زوجة ابراهيم الخليل مشددة الراء ، ولعل الصواب تخفيفها ، لأنها كلمة عبرانية معناها [أميرة] كما

في قاموس الكتاب المقدس . وقد نهت دائرة المعارف البستانية الى تخفيف راء
[سارة] مذ كتبتها بالحروف اللاتينية هكذا (Sarah) (Sara) وتخفيفها هو الشائع
على الألسنة في بلاد المشرق حتى ان معاجم اللغة العربية لم تشر في مادة [سرور]
الى أن [سارة] زوجة الخليل مشددة الراء حتى يكون عربياً بل سكنت عن ذلك .
ولعل في سكوتها ما يشعر بأن اسم [سارة] ليس من مادة السرور العربية . وعندى
ان هذا هو الصواب إذ لا يعقل ان [ماحور] العبراني والد سارة يسميها باسم عربي
في معناه عربي في اشتقاقه ، اللهم إلا اذا ادعى مدع بأن اسم [سارة] المخفف نقله
العرب الى لغتهم ثم عربوه وأفرغوه في قوالها فشددوا راءه . وروى صاحب القاموس
عن اللحياني [امرأة سررة وسارة تسرك] وسمعت فتى يذكر أختاً له فسمها [سارة]
وشدد الراء فقلت : ولماذا شددت الراء والناس يلفظونها مخففة قال : إن جدي هو
الذي سماها وأوصى ألا يلفظ اسمها إلا مشدداً قلت : لا كلام إذن وكأن جدك
يعتقد ان اسم [سارة] عربي مادة واشتقاقاً . أما إذا كنا نتحدث عن السيدة [سارة]
العبرانية فيحسن ان نلفظ اسمها مخففاً كما سماها أبوها [ماحور] .

ص ١٢٥ س ٢٠ ثم خرجت امرأة لوط ويدها سراج كأنها تشعل [تشعل] ضبط
فعل [تشعل] بالعين المهملة المفتوحة على البناء للمجهول من فعل شعل النار وأشعلها
إذا ألهبها . ولا معنى لذلك هنا ، ولعل صوابه [تشعل] بالعين المعجمة من الشغل
والاشتغال ، والمعنى ان امرأة لوط لما علمت بضيوف زوجها من الملائكة وهم على شكل
غلمان حسان ، خرجت في الليل ويدها السراج توهم زوجها الذي استكتمها الخبر
انها مشغولة بأمور المنزل كتنفقد خادم أو علف دابة وبذلك تسنى لها أن تخلص
إلى فساق قومها فتخيرهم بخبر الضيوف . على انه يصح ان تكون [تشعل] من إشعال
النار لكن يكون صوابه [تشعله] بضمير النصب والبناء للمعلوم أي توهم زوجها انها
تريد ان تشعل السراج وتوقده لتستضيء في خدمة بيتها ثم انسلت الى فساق قومها
ص ١٢٧ س ٧ قوله : [حتى بلغ بها الى البحر] صوابه [بلغ بها البحر] من دون
حرف الجر لأن فعل البلوغ يتعدى بنفسه ، والقول بأنه مضمن معنى الوصول تكلف

لعدم ما يدعو اليه من نكت البلاغة التي تزيد في إيضاح المعنى أو تأكيد كيدته أو
تورث الكلام حسناً أو غير ذلك من الاعتبارات التي يراعيها البلاغ عادة سيفي
التضمنين وإلا كان خطأً

ص ١٣٢ س ١٠ [غياب الحب] كذا بقاء طويلة أو مجردة وصوابه [غيابة] بقاء مربوطة
كما هي قاعدتها . نعم إنها تكتب في المصحف الشريف [غياب] اتباعاً للرسم المأثور
ص ١٣٩ س ٧ [وقيل ان النساء خلون به ليعدله لها] يعني ان نسوة المدينة
لما بلغن خبر جفوة يوسف لزوجها امرأة العزيز خلون به ليعدله ، وقد ضبط فعل
[يعدله] بالذال المهملة المشددة من فعل عدّله اذا أمامه وسواء . فالنسوة بذان
جهدهن في تعديل يوسف وتقويته لأجل امرأة العزيز ولأجل ان يواتيها على ما تريد
منه ، ولكن ليس المقام مقام تربية ولا تقويم غلام اعوجت أخلاقه والتوت طباعه ،
وإنما المقام مقام حب وحناء ، ونسوة أقن أنفسهن وسطاء أو شفعاء . فالأصوب
والأليق بالمقام ان تكون [يعدله] بالذال المعجمة من العدل الثلاثي [أو التعديل
المزيد على الثلاثي للمبالغة] على معنى ان النسوة خلون بيوسف وأخذن في عدله ولومه
على ما كان من جفوته لسيدته وإعراضه عنها وقد فعلن ذلك خدمة لها وفي سبيل مصلحتها
ص ١٥٤ س ١٤ قوله : [تبنك] صوابه [أتبنك] وهو خطأ مطبعي

ص ١٨١ س ١٥ أم موسى دخلت على آسية امرأة فرعون فلم تعرفها آسية
[لأن أم موسى دخلت عليها في حلبة المراضع] [حلبة] كذا بالباء الموحدة ، والحلبة
خيل السباق ولا معنى لها هنا وصوابه [حلية المراضع] بالياء المثناة قال في المصباح
الحلية الصفة وقال في الأساس : عرفته بحليته أي بهيئته . فآسية لم تعرف أم موسى
لأنها دخلت عليها بصفة مرضعة وعلى هيئة المراضع وهو أيضاً خطأ مطبعي

ص ٢١٣ س ٨ : أفواج الملائكة كانت تمر على موسى فكان منهم فوج [لهم
نحيب بالتسبيح والتقدیس] النحيب البكاء أو اشده اي انهم كانوا يبكون بسبب
تسبيحهم لله . وهو ظاهر ، ولكن الأظهر منه بل الأشبه في هذا المقام ان تكون
[نحيب] مصحفة عن [نحيث] بقاء مثناة في آخرها وهو اللث وشدة تتابع النفس

أي ان هذا الفريق من الملائكة من شدة ما لجوا في التسبيح وألحوا جعلوا يلهثون حتى كاد يلحقهم البهر وهو انقطاع النفس

ص ٢٢٠ س ٨ : في صفة أمة محمد ﷺ أنهم [يصفون في صلاتهم صفوفاً كصفوف الملائكة] وقد ضبط فعل [يصفون] بضم ياء المضارعة مجهولاً أي أنهم قد صفهم صافاً . والأفصح ان يضبط معلوماً يقال في الفصيح صفهم فصفوا أي اصطفوا فهو لازم متعد . ومن اللازم قوله تعالى في وصف الملائكة أيضاً [والصافات صفاً] أي أقسم بجماعات الملائكة المصطفة في مراتبها لعبادة ربها . وفعل الصف اذا أسند الي من يصطف بنفسه استعمل معلوماً يقال : صف الجند و صفت الملائكة . والا استعمل مجهولاً : صفت الخارق [ونمازق مصفوفة] صفت السرر [على مرور مصفوفة] ص ٢٢٠ س ٩ في صفة أمة محمد أيضاً : [لا يدخل النار منهم أحد إلا من الحساب مثلاً يرى الحجر من وراء الشجر] . قوله [إلا من الحساب] محووف ، وصوابه [إلا مرة الحساب] والحسبان جمع حسبانة ضرب من السهام صغار قصار كالمسال . يعني ان ان أمة محمد لا يدخلون النار إلا مروراً كمرور السهام . ومرور السهم ومروقه يضرب مثلاً لسرعة التنفيذ . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في صفة الخوارج : [يرقون من الدين كما يبرق السهم من الرمية] وزاد هذا المعنى وضوحاً قوله بعده : [مثلاً يرى الحجر من وراء الشجر] فلا جرم ان الحجر إذ ذاك يمر خلال غصون الشجر بسرعة ثم يخلص الى الجهة المقابلة من دون ان يمسك في الشجرة أو يعلق عليه شيء منها . وهكذا أمة محمد تمر في النار على هذا النحو . وكتبت [مثل ما] هكذا مفصلة . ولعل الصواب ان تكتب متصلة كما كتبناها آنفاً

ص ٢٤٢ س ٢ : [فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول] قوله [فحملوه] لعل صوابه [فحملوهم] أي حملوا كلا من الخضر وموسى وان كانوا لم يعرفوا إلا الخضر . ويشهد لما قلنا قوله بعد : [فلما ركبا في السفينة] بألف التثنية أي الخضر وموسى ص ٢٥٨ س ١٢ [لولا بنو اسرائيل لم يبحر الطعام ولم يخبث اللحم] قوله : [يبحر] بالثاء المثناة أي يغلظ بعد ان كان مائعاً . ولا يستقيم المعنى عليه هنا وإنما

صوابه [يخنز] بنون وزاي : خنز اللحم والجوز والتمر فسد وأنتن ، أي ان الطعام أصبح معرضاً للفساد والنتن بسبب عصيان اليهود لأوامر الله تعالى . وبدل على صحة ما قلنا قوله بعده : [ولم يخبث اللحم] فإن خبثه يمنع من أكله . وأصبح المقام يتطلب ان يلحق الطعام آفة تمنع من أكله أيضاً وتلك الآفة هي خنوزه ونتاجه أما خنوره أي غلظه واشتداده فلا يمنع أكله . على ان الطعام لا ينسب اليه الخثور وإنما الخثور للبن : يقال خثر اللبن خثراً وخنوراً وخنراناً غلظ واشتد بعد ان كان رقيقاً مائلاً ص ٢٥٩ س ٢٠ [تقول العرب فوموا لنا أي اختبزوا] ضبط فعل [فوموا] بالتخفيف أي بضم الفاء والميم ثلاثياً على وزن قوموا . وصوابه [فوتوا] بتشديد الواو من التفعيل كما ضبط كذلك في اللسان والتاج قالوا : [يقولون فوتوا لنا بالتشديد يربدون اختبزوا]

ص ٢٧٠ س ١٠ و ص ١٥ س ١٦ زمزى بن شلوم تزوج كستي بن صعور مرغماً لشريعة التوراة . فغضب موسى وأصيب بنو اسرائيل من جراء ذلك بالطاعون . فدخل ففخاص العيزار القبة على العروسين وطعنهما بحربته الحديد الثقيلة فانتظهما وخرج بهما الى القوم رافعاً حربته ، قد أخذها بذراعه واعتمد برفقه على خاصرته وأسند الحربة الى لحيته فرفع الطاعون ، قال : ومن أجل ذلك يعطي اليهود ذرية ففخاص من كل ذبيحة الخاصرة والذراع واللحية . أقول : لا ينبغي ان اللحية هي الشعر الثابت على الذقن أي عظم الحنك . والشعر المذكور لا يمكن ان يكون نقطة ارتكاز للحربة من حديد تحمل جثتين بشريتين ، بل ان عظم الحنك نفسه لا يصلح لذلك ، وإنما صوابه : وأسند الحربة الى «لبته» وكذا في السطورين الآخرين «اللبة» مكان «اللحية» ولبته مكان لحيته واللبة أعلى الصدر حيث تقع القلادة أو نقول هي الزور وهو ما ارتفع من الصدر الى الكتفين . وما زلنا في الموامم ومواكب الحمل نرى حملة الأعلام والرايات الكبرى لا يستطيعون حملها ما لم يسندوها الى لباتهم أي اعلا صدورهم لا إلى لحام ولا الى ذقونهم ، على ان الذبائح التي يعطي منها أولاد ففخاص لا يعقل أن يعطوا منها مع الخاصرة والذراع شعر اللحية ، ولا لحي للذبائح ينتفع بشعرها وإنما يعطون لباتها وأزوارها

ص ٢٧٠: في آخر هذه الصفحة يحكي خبر [بلعام] وقد قدم على بني اسرائيل راكباً أتاناً قال [فلما عين عسكرهم قامت به الأتان وقد وقفت فضر بها بلعام الخ] معنى [قامت به] وقفت به قال صاحب القاموس [قامت الدابة وقفت عن السير] فقوله: [وقد وقفت] بعد قوله: [قامت به] مستغنى عنه إذ يصبح المعنى به [وقفت به الأتان وقد وقفت] وهو تكرار . فلعل قوله: [وقد وقفت] مما كتب على الهامش تفسيراً لقوله: [قامت به فألحقها الناسخ بها في المتن أو هي مما جاء في صلب المتن تفسيراً لقامت ، ويكون أصل الجملة هكذا] [قامت به الأتان أي وقفت] فحرف الناسخ كلمة [أي] التفسيرية الى كلمة [وقد] التحقيقية فأصبح تركيباً ظاهراً البطلان ص ٢٧١ س ٥: [قال موسى يارب بما سمعت دعاء بلعام علي فاسمع دعائي عليه] قوله [بما سمعت] لعل صوابه [كما سمعت] أي اسمع دعائي كما سمعت دعاءه ، وإلا فإن [بما] لا يصح معها معنى الكلام إلا على تخريج بعيد ظاهر التكلف

المغربي

مركز تحقيق المخطوطات العربية

—•••••—

آراء وانباء

البيان السنوي العام^(١)

سادتي الأفاضل

بهذه الجلسة تنتهي جلسات المجمع في السنة الجمعية التي تبتدىء في تشرين الاول ١٩٤٣ وتنتهي في حزيران ١٩٤٤ . وقد عقد المجمع في هذه المدة ثماني جلسات عادية عامة ، بحث فيها بعض المباحث اللغوية والأدبية والتاريخية . وقرر بعد المناقشة ما عرض عليه من أمور علمية وإدارية ومالية سبأني بيانها . وثابر على إصدار مجلته في مواعيدها ، والقاء محاضراته العامة على الرجال والنساء . مع العناية بدور الكتب الملحقة به وغير الملحقة به ، والعمل على نشر الثقافة العربية بعقد الاسواق الأدبية والمعارض الفنية ونشر المخطوطات ، وتقدير المؤلفين وتشجيعهم بمنحهم جوائز أو شراء عدد من مؤلفاتهم . مع اصلاح داره القديمة الأثرية متحرياً تجديد ما درس من معالمها واعادتها سيرتها الأولى في عدة نواح من مرافقها على قدر المستطاع وما تحمله الطاقة في مثل هذا الزمن المحفوف بالمصاعب . الحرب في أواخر سنتها الخامسة . واستقبل عدداً غير قليل من العلماء والمستشرقين والوجهاء والرؤساء الذين مروا بهذه المدينة وهاداهم بعض منشوراته ، وحاضر بعضهم فيه أو شهد بعض جلساته

الأعمال العلمية

المجلة — يطرد صدور المجلة في مواعيدها منذ اعادة تنظيم المجمع سنة ١٩٤١ بعد ان توقفت فترة من الزمن . وقد صدر منها الى الآن ثمانية عشر مجلداً واكثر اجزاء المجلد التاسع عشر ، وفيها من البحوث والمقالات والدراسات ما يعبر بحجة وثقة وقل ان تجد مجلة في العالم العربي يعتمد الباحثون عليها ويتخذونها من المصادر المعتبرة كمجلة المجمع ، فالملوفون المعاصرون ودوائر المعارف الحديثة تشير اليها في مصادرها ، ولا تكاد تجد مجلة فازت بمثل هذه الثقة . وهي سائرة نحو الكمال بهمة أعضائها العاملين والمراسلين ومن يرأسها من أهل العلم والأدب .

(١) قرأه معالي الرئيس في جلسة الختام التي عقدها المجمع في ٢٩ حزيران سنة ١٩٤٤ .

المحاضرات - التي في المجمع من تشرين الثاني ١٩٤٣ الى أيار ١٩٤٤ ثلاثون محاضرة عامة اربع وعشرون منها للرجال وست للنساء في مواضيع متعددة لغوية وعلمية وأدبية واجتماعية وطبية وحقوقية وتاريخية وفلسفية ، قام بها عدد من اعضاء المجمع وغيرهم من أهل العلم والأدب . ولئن لم تكن كل المحاضرات على مستوى واحد فان الجهد الشخصي فيها ظاهر واضح وبعضها جيد بالغ . وقد كانت الردهة تفيض بالمستمعين في كثير من المحاضرات ، وعددهم في كل المحاضرات غير قليل ، وقد كانوا يحسنون الاستماع وعلامات الاهتمام بادبة على وجوههم . أما محاضرات النساء فقد كان السيدات يقمن على كل شؤونها فالمحاضرة والمستمعات منهن لا دخل للرجال بشيء من ذلك . على ان الشيء الوحيد الذي استدرك على المجمع في هذا الشأن كثرة عدد المحاضرات فقد كانت تبلغ في بعض الأشهر ست محاضرات اربع للرجال واثنان للنساء . ولعل المجمع يقرر شيئاً في هذا الشأن في الموسم القادم فيحيط من عدد المحاضرات ويرفع من قيمتها من حيث الامعان في البحث والإجادة في العرض .

نشر المخطوطات - سبق للمجمع ان نشر في مجلته وعلى حدة بعض المخطوطات النادرة كنشوار المحاضرة للقاضي التنوخي الجزئين الثاني والثامن ، وقانون البلاغة لابن حيدر البغدادي ، ودبوان الوليد بن يزيد ، وبحر العوام فيما أصاب فيه العوام لابن الحنيلي الحلبي ، والمنتقى من اخبار الأصمعي للإمام الربيعي ، والتبصرة بالتجارة للجاحظ ، وتكملة اصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي وغيرها . وهو يشتمل الآن بتحقيق أربعة كتب واعدادها للنشر وهي تاريخ حكماء الاسلام للبيهقي وانا أقوم بتحقيقه . ودبوان ابن عنين شاعر الشام في الدولة الأيوبية يقوم بتحقيقه الأستاذ خليل مردم بك ، ورسالة الملائكة للمعري وهي النسخة الوحيدة في العالم ، وما طبع منها من قبل هو المقدمة ، يقوم بتحقيقها والتعليق عليها الأستاذ سليم الجندي ونرجو ان يتم طبعها في مهرجان المعري بعد ثلاثة أشهر . والرسالة الجامعة للمجريطي يقوم بتحقيقها الدكتور جميل صليبا وهي تمة لرسائل اخوان الصفا او فذلكة لها .

الجوائز - للمجمع ثلاث جوائز سنوية يمنحها ثلاثة من جودوا من المؤلفين أو المترجمين السوريين تقديراً للعلم والأدب ورفعاً لأ شأنهما . وقد منح المجمع في هذه السنة الأمير مصطفى الشهابي إحدى الجوائز لإيجادته في معجم الألفاظ الزراعية ومنح الدكتور أسعد طلس إحدى الجوائز لإيجادته في نشر كتاب ثمار المقاصد في ذكر المساجد ليوسف بن عبد الهادي وتحقيقه والتعليق عليه وتأليف ذيل له . والمجمع يرجو ان تكون جوائزه من بواعث المسابقة في مضمار التأليف والترجمة .

مهرجان المعري - اجتماع أهل العلم والأدب على اختلاف الأقطار والأجناس في مؤتمرات العلم وأسواق الأدب من أعظم البواعث على رفع مستوى ثقافته وبخاصة اذا كان السبب الاحتفال بذكرى احد النوابغ العظام . وقد رأى المجمع ان يقيم مهرجاناً عظيماً في ٢٥ ايلول سنة ١٩٤٤ بدعو اليه عدداً من اعضائه المراسلين في جميع الأقطار من يمكن ان تبلغه الدعوة ليشتبكوا مع إخوانهم الأعضاء العالمين . في الإشادة بذكرى النابغة العظيم أبي العلاء المعري لمرور الف سنة على مولده وسيستمر المهرجان أسبوعاً يتبارى فيه كبار الأدباء والباحثين والشعراء في دراسة هذا الرجل الانساني الكبير وما وصل اليه من آثاره ، وبلغ أثره في الثقافة والأدب والأخلاق . وستكون أيام المهرجان موزعة بين دمشق وحمص وحماة والمرة وحلب واللاذقية وبلودان . ولا شك في ان مجموعة ما سيقال وينشد في هذا المهرجان سيكون احسن مجموعة عن المعري ابداعاً وتحويراً . اضافة الى ذلك بهجة اجتماع اقطاب العلم والأدب في الأقطار العربية وغيرها في صعيد واحد لتكريم الأدب العربي في شخص أبي العلاء وتحليل ذكراه . والفضل الأعظم في تحقيق هذه الفكرة النبيلة يعود الى نخامة رئيس الجمهورية الذي رحب بها واعارها اكبر قسط من الرعاية والعناية وأمر بأن يساهم في شرفها عدد من المحافظات الشامية . ولوزارة المعارف عمل صالح في تقديم مشروع المهرجان المالي وكفالاته .

معرض الكتاب العربي - وقد رأى المجمع ان يعقد معرضاً للكتاب العربي

مدة المهرجان تعرض فيه نفائس المخطوطات والوثائق وما امتازت به المخطوطات العربية

من الفن البارع في الزينة والزر كشة والتذهيب والتلوين . ويشترك في عرض هذا النوع من الكتب دار الكتب الظاهرية وبعض أرباب خزائن الكتب الخاصة . والمجمع آخذ في تهئية أسباب هذا المعرض ويرجو ان يتوفر لديه العدد الكافي من كتب اصحاب الخزائن الخاصة على سبيل الاعارة ليجمع بين الفائدة والاعجاب والمتعة .

دور الكتب — يرتبط بالمجمع ثلاث دور للكتب . خزانة كتبه الخاصة ودار

الكتب الظاهرية في دمشق ودار الكتب الوطنية في حلب . اما خزانة المجمع فهي خاصة به مقصود في جمعها أمهات الكتب والمراجع الموثوق بها والمصادر المعتبرة في العربية والفرنسية والانكليزية وفيها من الكتب العربية المطبوعة في أوربا مجموعة قيمة فضلاً عن نسخ من نوادر المخطوطات مأخوذة بالتصوير الشمسي . وعلى هذا السبيل تختار كتبها التي يبلغ عددها (٣٨٨٦) مجلداً منها (٨١) مجلداً فوتوغرافياً و (١٨٥٤) مجلداً عربياً و (١٩٥١) مجلداً افرنجياً . وقد دخل اليها سنة ١٩٤٣ ثلاثمائة وثمانون مجلداً منها (٢٧٠) مجلداً عربياً و (١٠٧) مجلدات افرنجية .

وأما دار الكتب الظاهرية فهي عامة لجميع المطالعين ولما استلمها المجمع كانت أشبه بدور الكتب الخاصة او اشبه بغرفة أثرية لأنها كانت عبارة عن (٢٥٤٨) مخطوطاً لا يجوز ان تتداولها ابدي المطالعين و (١٠١٨) مطبوعاً مخزونة كلها في غرفة واحدة وباقي البناء كان مدرسة ابتدائية فعمل المجمع على نقل المدرسة وجعل البناء كله خاصاً بالمكتبة وما زال المجمع يزيد في عدد كتبها المخطوطة والمطبوعة على سبيل الشراء والاستهداء حتى بلغ عدد ما فيها من الكتب في أوائل هذه السنة نحواً من ستة وثلاثين ألف مجلد . ونسبة زيادتها في السنة الماضية وهذه السنة تفوق جميع النسب في السنين الخالية فقد دخل اليها في سنة ١٩٤٣ (٢٥٥٩) مجلداً منها (٣٦٣) مخطوطاً والفضل في ذلك راجع الى التوسيع عليها في مخصصات شراء الكتب والى ما يهدي اليها من أهل البر والفضل فنخص بالذكر منهم بني الطنطاوي وبني المنير والسيد ظاهر ابو حرب فقد أهدوا اليها عدداً وافراً من المخطوطات والمطبوعات . وأهدت هي في هذه السنة الى مكتبة اللاذقية (٥٨٢) مجلداً ورسالة والى مكتبة كفر تحاريم (٢٧٤) مجلداً ورسالة والى مكتبة السويداء (٨٥) مجلداً ورسالة .

دار الكتب الوطنية في حلب - قدم المجمع في ٢٣ شباط ١٩٤٤ الى وزارة المعارف تقريراً مفصلاً عن هذه الديار وما تحتاجه من الاصلاح بعد ان اختلتها مصلحة الدفاع السليبي ومصلحة الخرائط الانكليزية . نظم هذا التقرير محافظ دار الكتب الظاهرية الذي أوفده المجمع الى حلب لهذه الغاية . وخلاصته ان الدار المذكورة بحاجة الى اصلاح وترميم وخزائن ومفروشات وزيادة ثلاثة موظفين وقدر لذلك مبلغ (٢٧٠٠٠) ليرة سورية .

الأعضاء الراحلون

فجع المجمع في السنة الماضية وهذه السنة بعدد من أعضائه الأجلاء . وهم :
الأستاذ بدر الدين النعساني (حلب) - العالم الأدب النقاد طلب العلم في الأزهر وطاات في طلب العلم والاشتغال به رحلته ، والف وهو شاب في مقتبل العمر كتاب التعليم والارشاد وهو من أحسن ما ألف في اصلاح التعليم في الأزهر . ثم توفر على تحقيق كتب العلم والأدب وتصحيحها واعدادها للنشر فحقق منها عدداً عظيماً جداً وكلها تحمل اسمه في صدرها . وزار الأفطار الاسلامية في الشرق والغرب ودرس أحوالها واطلع على شؤونها فازدادت معارفه واتسعت خبرته . واشتغل بالصحافة في مصر والشام والحجاز ثم انصرف الى تعليم الأدب العربي في مدارس حلب وكان في كل ما عالج من الأعمال من المتقنين المجلين .

الشيخ سليمان الأحمد (اللاذقية) - شيخ العلويين وإمامهم جمع الى سعة العلم كرم الأخلاق واستقامة الأحوال وكان مرشداً ناصحاً يعمل على جمع الكلمة وتوحيد الصفوف ويضم بالعلم والاخلاص ما فرقته يد الجهل والمكيدة ومنزلته في علوم العربية وآدابها منزلة رفيعة .

الأستاذ رشيد بقدونس (دمشق) - تخرج بالمدرسة الحربية وكان من ضباط الجيش العثماني ولكن الصفة العلمية غلبت عليه . درس الافرنسية واليونانية والفارسية وأجاد العربية والتركية وكان ذا صبر على التحقيق طويل الأناة شارك في وضع مصطلحات الجيش العربي في عهد الملك فيصل وكتب أبحاثاً في اللغة والخط العربي والف في التاريخ ودرس العربية والتاريخ في مدارس دمشق .

الأمير عمر طوسون (مصر) - الأمير العالم صاحب الأعمال المبرورة والايادي البيض على العلم والثقافة جمع الى كرم المحدث سعة العلم وكرم الأخلاق وعمل الخير ولم تصرفه كثرة اعماله عن الاشتغال بالعلم والتأليف بل كان من اكثر العلماء إنتاجاً ومؤلفاته تبلغ أربعين كتاباً .

الأستاذ متفوخ - المستشرق الألماني عنى بتاريخ العرب قبل الإسلام وبخاصة عرب اليمن وتاريخهم وأحوالهم ونشر شيئاً كثيراً من الكتابات اليمنية . وعن أيضاً بحال الإسلام في (طوغو) و (الكامرون) . ونشر كتاب تاريخ سفي ملوك الأرض والأنبياء لحزة الاصفهاني .

الأستاذ د. ب. مكدونلد (اميركا) - كان عالماً بالعربية والعبرية والسريانية والعلوم الاسلامية وهو من أوسع المستشرقين معرفة بالدين الاسلامي وقد الف فيه عدة كتب . ومحاضراته ومقالاته عن الثقافة الاسلامية في أكثر نواحيها كثيرة جداً وكان له عناية عظيمة بكتاب الف ليلة وليلة ومجموعة النسخ التي لديه من هذا الكتاب لا تضاهيها مجموعة في العالم .

وكل هؤلاء من أعلام العلماء وأصحاب الايادي البيض على العلم والأدب وقد جلت رزينة الجمع بفقدهم رحمهم الله وأثابهم خير الجزاء واحسن عزاء الجمع عنهم .
الأعضاء الجدد - انتخب الجمع الأستاذ عباس العزاوي (بغداد) والدكتور داود چلي (الموصل) والأستاذ جب (لندن) أعضاء مراسلين وجدد انتخاب الأستاذ عارف النكدي عضواً عاملاً وكلهم من خيرة العلماء مشهود لهم بسعة الاطلاع ومواصلة العمل . موازنة الجمع العلمي وداري الكتب الظاهرية والحلبية - كانت اعانة الحكومة

للمجمع العلمي العربي في عام ١٩٤٣ مقدرة بمبلغ (٦٧١٣٠) ليرة سورية وقد تحققت في نهاية العام المذكور بمبلغ (٧١٥٠٣/٥٤) ليرة سورية وهذه الزيادة حصلت من اعانة المندوبية وقدرها (٧٥٠) ليرة سورية ومن مبلغ (٣٣٠٠) ليرة سورية منحة الحكومة للموظفين بموجب القانون رقم (٨) المؤرخ في ٢٨ تشرين الأول سنة ١٩٤٣ . وقد صرف هذا المبلغ حسب فصول الموازنة وموادها على الشكل الآتي (٣٦٩٨٦/٨٨)

ليرة سورية للرواتب و (٢٤/٢٤٩٧٦) ليرة سورية للنفقات وقد تحقق في نهاية العام المذكور وفر مقداره (٩٥٤٠/٤٢) ليرة سورية . وفي عام ١٩٤٤ أعطت الحكومة المجمع العلمي اعانة قدرها (٨٠٠٠٠) ليرة سورية اي بزيادة مبلغ قدره (١٢٨٧٠) ليرة سورية عن العام الماضي أضيف اليها الوفر المتحقق في عام ١٩٤٣ وهو (٩٥٤٠/٤٢) ليرة سورية وواردات المجلة المقدرة بمبلغ (٣٠٠) ليرة سورية وبذلك صار المبلغ الاجمالي لموازنة عام ١٩٤٤ (٨٩٨٤٠) ليرة سورية ستصرف حسب الموازنة على الشكل الآتي :

(٤٣٨٧٦) ليرة سورية للرواتب و (٤٥٩٦٤) ليرة سورية للنفقات .

وأريد ان أسجل شكر المجمع للرئيسين الجليلين رئيس المجلس النيابي ورئيس الحكومة على موقفهما النبيل عند مناقشة موازنته وللنواب المحترمين الذين أبدوهم في هذا الشأن .

أعمال الإصلاح والترميم في المجمع — هذه المدرسة العادية الكبرى المتخذة داراً للمجمع من أجل مدارس دمشق وأنعمها وأحفلها تاريخاً بالعلم والعلماء ، تسلسل فيها نشر العلم ولاح فيها مصابيح من أعلام هذه الأمة كابن خلكان وابن مالك وابن خلدون وغيرهم ، ولم يكذبوا بوضوء العلم في جوها . والمجمع حريص على حياطتها وترميمها وإصلاح ما تشعث منها واماطة الأذى عن معالمها وإعادة ما عفا من رسومها شيئاً بعد شيء مع الزمن وعلى قدر الطاقة ، وما قام به المجمع من هذه الأعمال منذ اتخذها داراً له مائل للعيان في كل طرف وناحية وزاوية فيها وآخر ما عزم عليه تبليط صحنها الفسيح وإعادة بركة الماء في وسطه على الشكل الذي كانت عليه ليالي كان ابن خلكان يطوف حولها مترنماً بأنشودته العذبة اللطيفة . ولدار الآثار ومندها الفاضل المسيو آسي سعي مشكور في هذا العمل فهو الذي أحكم خطة العمل ولازم بين الحاضر والماضي وجعل الجديد صورة عن القديم . كل ذلك من غير ان يرزأ المجمع بيت المال بشيء ، بل قتر على نفسه واقتطع من صلب موازنته ما يقتضيه هذا العمل من النفقات المقدرة بـ (١٦٥٠٠) ليرة سورية وآثر التقدير على نفسه حياطة لهذا المعهد الكريم وتجملاً بإظهار ما خفي من محاسنه .

هذا بيان ما قدر للمجتمع ان يقوم به في هذه السنة فان كان فيه شيء يستحق الحمد فبفضلكم ومؤازرتكم أيها العلماء الأجلاء وأريد ان أخص بالشكر صديقي معالي العلامة السيد خليل مردم بك أمين السر العام على توفره على أعمال الجمع ودؤوبه على ما فيه مصلحته وأتقدم بالشناء على اللجنة الادارية التي اضطلعت بما عهد به اليها من عملها وعمل غيرها على أحسن وجه. مشاركة على العمل واتقاناً له وحسن تصرف فيه وانا لارجو ان يكون عملنا في المستقبل أعظم منه في الماضي والحاضر ان شاء الله .



على ذكر «الفند»

اطلعت في الآونة الأخيرة ، على ما دار حول «الفند» من آراء مختلفة نشرها أصحابها في هذه المجلة .

ولعل الخطب في «فند» وفي أمثال «فند» أكانت عربية أم لم تكنها ؟ أيسر من ان يتسع لما اتسع له هذا البحث ، وأنا اعود اليه مرة أخرى ، فأضيف هذه الكلمة الى كلماتهم . فليست اللفظة بمنطوية على معنى جليل نحصر عليه ، وما هي متضمنة تعبيراً دقيقاً لاحتاج اليه ، فنطيل فيها الكلام ، لنُدعي نجرها ، ونحتكر نجرها غير ان الذي يدعو الى معالجة مثل هذه الموضوعات والعودة اليها حيناً بعد حين ، ليست قيمة الكلمة نفسها ، ولكنه هذا الحرص الملح ، يظهره كثير من الكتاب العرب ، في كثير من الأحيان ، ليجدوا لللفظة العربية البجته - مخرجاً يخرجونها به من لغتنا العربية ، ليدخلوها في لغة اجنبية . وما أدري لهذا سبباً ، الا ان يكون من قبيل رد الفعل لما كان عليه قومنا من قبل ، من ان ادعاء الالفاظ واستلحاقها ، بحيث كادوا لا يتركون لفظة اتصلت بهم - ولو كانت في بعض الأحيان علماً على بلد أو شخص - وقد زعموها عربية ، فما كوا لها صيغة ، واصطنعوا لها اشتقاقاً ، متحليين في ذلك اسخف السبب ، متكلفين اضعف النسب . يفعلون ذلك في الأكثر تعصباً للغتهم ، واعتزازاً بها ^(١)

(١) ومن مضحكات هذه التأويلات ما وقفت عليه في شرح التاج وأنا أراجم مادة «فند» قال وجاءوا من كل فند ، (بالكر) أي من كل فن . قلت : ومنها اشتقاق لفظ الافندي لصاحب الفنون زادوا ألفاً عند كثرة الاستعمال ، ان كانت عربية ، وقيل رومية معناه السيد العظيم الجزء ٢ ص ٢٥٥

واليوم عاد الأمر معكوساً ، فها هو الا ان يقف أحدهما من كلمة من الكلمات العربية ، موقف المتردد في فهمها المسائل عنها ، حتى يدخل الريب من عروبة الكلمة في قلبه ، ثم لا يلبث هذا الريب ان ينقلب في نفسه أو في نفوس الساخرين بقيتاً .
تردد أستاذنا المغربي في لفظة «فند» العامية . فكان مما قاله فيها : « والفند عدة شمعات تباع في غلافها المتخذ من الورق التخين الأزرق . ويقال أحياناً دزينة شمع ، فكان (فند شمع) » . ثم قال : « وسألت اخواننا أهل دمشق عما اذا كانوا يستعملونها في لهجتهم اليومية فقالوا : انهم لا يعرفونها ، ولا سمعوا بها » . ورجع الى الفرائد الدربة فاذا معنى هذه اللفظة « شمعة » وقد وضعت أمامها العلامة التي تفيد ان الكلمة عربية عامية وان أكثر استعمالها بين عامة لبنان » . وتساءل الأستاذ بعد ذلك عما اذا كانت هذه اللفظة فارسية أم عربية ؟ فرجع عربيتها « وجوز لنا ان نثبتها ، وندعيها حتى تقوم لغة اخرى فنستلحقها »

هذا كل ما قاله الأستاذ في فارسية هذه اللفظة ، وزاد على ذلك ان قال :
وأخيراً رجعت الى الحاج علي الكبير الشيرازي وهو شيخ معمر من النزلاء الايرانيين بدمشق . فقال انه لا يعرفها » .

وقول الأستاذ هذا ، لا يخرج عن انه سائحة من سوانح الفكر ، لا يثبت لهذه الكلمة في غير العربية شيئاً ، غير ان هذا الشك الضعيف ، مالبث ان أصبح بقيتاً لا يقبل الريب فقد جاء الدكتور الكواكبي بعد ذلك يعقب على كلمة الأستاذ مؤكداً فارسية « الفند » تأكيداً جازماً ، ويقطع بأن أصلها « بند » بالباء الموحدة ومعناها : الربطة ، الرباط ، السلسلة ، القيد ^(١) . . . وان استبدال العرب الفاء بالباء الموحدة أو المثلثة التحتية أمراً لا يحتاج الى تدليل . وان الفند من أصل فارسي لا ريب فيه .

وقد رد الأستاذ الكرمل على الدكتور الكواكبي نافياً فارسية « الفند » مثبتاً عربيتها ، بما لا يحتاج معه ان تزيد عليه غير هاتين الملاحظتين :

(١) أنكر الألب الكرمل على الدكتور الكواكبي ان يكون للفند هذه المعاني واكتفى بأن قال : ومعنى البند عندهم (أي الفرس) الحبيصة ، أو الاسلوب الدقيق في الخيصال الى معاني معروفة في الفارسية ومعروفة في معاجمهم ونحن لا نعرف الفارسية الا ان المعاني التي ضمنها العرب : خاصتهم وطاعتهم لافط البند وأشارنا الى بعضها في هذا المقال تؤيد رأي الدكتور . الا اذا كان عند الألب العلامة ، أو أحد علماء الفرس ، ما ينفي هذه المعاني التي عددها الدكتور وذكرنا نحن ما فرغه العرب عنها .

العرب يبدلون الفاء بالباء المشددة (أي المثلثة) بالباء المخففة (أي الموحدة)
 ٢ - « البند » الفارسية أخذها العرب بلفظها فقالوا : « البند » في العلم الكبير
 - وقالوا في لغة القانون : « قلعة بند » بمعنى « سيف القلعة » أو « قيد القلعة » وذلك
 بأن يوضع المحكوم عليه في قلعة ، أو في مكان لا يبارحه حتى تنتهي مدة اعتقاله .
 وقالوا أيضاً : البند والبند بمعنى المادة والمواد ، أو الشرط والشروط . وتقول العامة :
 فلان صاحب « البند والعلم » أي ذو وجهة وسلطان أو شأن . كما تقول : بند السيف
 أي حميلته ، وبند الساعة أي علاقتها ، إلى غير ذلك . وفي كل هذا ابقت الخاصة
 والعامة من العرب « البند » على لفظه الفارسي . فلو أن « الفند » العربية كانت « البند »
 الفارسية لاحتفظ لها بلفظها هنا ، كما احتفظ لها بلفظها في المعاني العربية التي ذكرناها لها
 وقد يكون الدكتور الكواكبي ذهب إلى فارسية الفند لقول الأستاذ المغربي
 « والفند : عدة شموع » ويقال : (دزينة شمع) مكان (فند شمع) ، ولما كان البند هو الربطة
 والرباط فيكون الفند في رأي الدكتور من هنا استعير . ولعله على هذا بنى حكمه القاطع .
 فعلينا أن نعرف هل العامة وهل « الفرائد الدرية » الذي استند إليه الأستاذ
 المغربي في البحث عن هذه الكلمة العامية يستعملون « الفند » بمعنى « عدة شموع »
 نقل الأستاذ عن « الفرائد الدرية » ما أشرنا إليه من قبل ، ونقله الآن بحرفه :
 « فند الشمع وجمعه فنود *cierge bougie* وضبط فاء الفند بالكسر وعهدي بالطرا بلسين
 انهم ينطقون بها بالفتح ، وجمعها في الفرائد على فنود والا ينبغي أن تجمع على أفناد ،
 إذا صح أنها مكسورة الفاء . وقد وضعت أمامها العلامة التي تفيد أن الكلمة
 عربية عامية وإن أكثر استعمالها بين عامة لبنان ^(١) . . . »

نقول : ما معنى *cierge* ؟ قال لاروس في تفسيرها « هي لفظة لاتينية معناها الشمعة
 الكبيرة تستعمل في الكنائس . . . » وأما *bougie* فهي مأخوذة من بوجي : مدينة بالجزائر
 (١) أما ما جاء في الفرائد الدرية فهو هذا *cierge bougie* وقد وضعت إلى جانب هاتين
 اللفظتين الفرنسييتين العلامة التي قالوا فيها في مقدمة هذا المصباح أنها إذا وضعت أمام الكلمة العربية دل
 على أن هذه الكلمة لا تستعمل إلا في اللغة العربية العامية في سورية خاصة . وإذا هي وضعت أمام
 الكلمات الفرنسية تدل على أن هذه الكلمات تدل عن المعنى العربي العامي نفسه .

بكثرة فيها الشمع الذي تصنع منه الشموع ومعناها الاصطلاحية: الشمعة ذات الفتيلة المجدلة ٠٠» وفي بلو المعجم اليسوعي الفرنسي العربي «الفند: الشمعة الصغيرة ٠ ونحن اذا رجعنا الى عامة لبنان ، الذين يشير اليهم الأستاذ عن يستعملون هذه اللفظة (لأنها ليست عامة عند عامتهم) نجدهم يطلقون «الفند» على هذه الشمعات التي وصفها الأستاذ بأنها تباع في غلافها ٠٠ بل الفند عندهم هو الشمعة الواحدة الكبيرة ذات التضاريس والتلافيف يشعلونها في المآتم : من اعراس ومناحات وبوقودنها في الأديار والمقامات فهذا كله - وفيه مصادر أستاذنا المغربي - تثبت ان الفند هو الشمعة لا عدة شمعات ^(١) ، وبنظري به ما يمكن ان يقال من ان الفند هو «ربطة الشمع» أو (دزبنته) ليجوز القول بأنه منقول - عن البند الفارسية ٠

وبقي ان يقال ان اللفظة سريانية وهو ما نقله لي الأستاذ عن أحد علماء اللغة السريانية وهذا قول لا يقبل على اطلاقه ، ما لم يقيده نص صريح على ان «الفند» هو الشمعة بوضعه اللغوي في الأصل السرياني ٠

أما اذا كانت الحجة على سريانية استعماله في لبنان ، فهذا مردود بأن هذه اللفظة أكثر ما تستعمل في غير مواطن السريانية يستعملها قوم من العرب الاتحاح لا يمتون الى السريان ولا الى السريانية بصلة من دم ولا لسان فالفند لفظ عربي بمعنى «الجبل العظيم ، او قطعة منه طولاً» - وزاد بعض - في وقته ، وهو الغصن» (شرح التاج)

وفي محيط المحيط : «الفند ٠٠ الغصن ومنه فند الشمع على التشبيه ٠» فكأن العامة او بعض الخاصة شبهوا هذه الشمعة بالغصن لطولها ودقتها ، وقد يكون لجامعة الازهار بين النور والنور ٠ والنسبة اللغوية تفضل بأدنى سبب فكيف اذا تعددت الأسباب ٠ وهذا التشبيه موفق بقره البيان العربي والدوق والمجاز ٠ وقد سبق لبعض المتقدمين ان استعماله ، فلا علينا ان نفتدي بهم وان تقرر المجامع اللغوية هذه اللفظة لهذا المعنى ٠

عارف السكندري

(١) أما استعمال أهل طرابلس الذي أشار اليه الأستاذ فاما أن يكون خاصاً بهم وهذا ما استبعدته ، واما أن يكون ٠ ذكره الأستاذ سهواً بعد عهده فيه ٠

ديوان الحكمي (ابي نواس)

استفسر مني بعض الاخوان عن نسخة من شرح ديوان الحكمي لحزرة الاصفهاني ومن المؤسف اني لم أقف على نسخة من هذا الكتاب في مكتبة عراقية خاصة أو عامة على كثرة الحافي بالسؤال عنه وعن أمثاله مما يستضاء به لاجتلاء شعر الحكمي . وقد كتبت الى أحد اعلام النخف ممن يعنى بهذه الشؤون استطلع طلعته في هذا الباب فجاءني جوابه اليوم يقول : انه لم يتذكر انه اطلع على هذا الكتاب في مكتبة ما . مع ان النخف تضم خزانات غنية في المخطوطات . وفي الطليعة منها الخزانة العلوية ذات الكتب القيمة .

ولعمري اني لشديد الرغبة في الوقوف على كتاب في شرح ديوان هذا الشاعر الفذ ، لأنني مولع بتصفح شعره . قوي الشغف به . وقد اعترضني في سبيلي هذه عقاب تعسر قطعها . وجلها متأية من ناحية التصحيف والتحريف .

ثم ان الحكمي بعيد الغور في أغراضه . دقيق الملاحظة في أهدافه . وكثيراً ما يكون للزمان والمكان والأحوال الاجتماعية القسط الأوفر في استبلاء تلك المرامي . من أمثلة ذلك قوله (ألا فاسقني خمرأً وقل لي هي الخمر) فاني وجدت الكثير من حملة الأقلام يسألون عن النكتة في قوله (وقل لي هي الخمر) بعد قوله (اسقني خمرأً) ويتناقلون جواباً قديماً بأنه يريد ان يملأ أذنه باسمها ليم بذلك إشباع حواسه الخمس منها . وهذا جواب سطحي لأن الشاعر ليس في سبيل إشباع الحواس وانما هو في سبيل المجاهرة باللذائذ . وعدم الخوف من الناس في اقترافها يشير الى ذلك قوله (ولا تسقني مرأً اذا أمكن الجهر الخ) والذي ظهر لي بعد انعام الفكرة ان الشاعر انما يرمي الى التعريض بأولئك المرائين الذين يشربون الخمر متسترين باسم النبيذ . والنبيذ طليق عند فقهاء العراق ، والحدود بينه وبين الخمر ليست بخصينة . فإذا قيل لأحدهم أنت تشرب الخمر قال : لا . وانما أشرب النبيذ . فالحكمي يرى مصارحة ابناء جيله على المكشوف . ويقول لساقيه : قل لي : هي الخمر . ولا تقبج باسم النبيذ وحال ابي نواس تفسر لنا هذا بأوضح مما يفسره لفظه .

واذا نحن فزعنا في هذا الشأن الى كتب الأدب لا نجد فيها ما ينفع الغلة .

ويشفي العلة لأن جلها لم نعر شعر المولدين والمحدثين التفاتاً . والتي التفت اليه لم
تعن بالشرح والايضاح العناية المطلوبة . زد على ذلك طغيان تيار المسخ في النسخ .
وتفاقم أمرى التصحيف والتحريف ولا سيما حين خوى نجم التحقيق . وكسفت شمس
التدقيق ، في القرون المظلمة الأخيرة .

هذا المبرد اقتطف من ازاهير المولدين الشيء الكثير ولكنه قلما عني بإيضاح
الغامض منه . اعتماداً على انه كان من الواضح بحيث لا يحتاج الى ايضاح ولكن
غبار الأيام تكثف على الكثير من ذلك حتى استبهم أمره وأشكل .
بلغني ان أحد أشياخ الأدب في مصر كتب على الكامل تعليقات تكشف
منه الغامض . وتوضح المبهم . وتم الناقص . وأسمى تعليقاته هذه (رغبة الآمل)
ولما تم لي الونوف عليه . وجدته على غرار أصله في عدم تعهد هذا النوع من الشعر
بالشرح والايضاح ، واذا تجشم الشرح فانه ربما يغرب فيأتي بالمضحك . يقول
ابو نواس في خصيئته المشهورة :

اليك رمت بالقوم هوج كأنما جاجها تحت الزحال قبور
ويرويه المبرد في كامله هكذا :

اليك رمت بالقوم خوص كأنما جاجها فوق الحجاج قبور
وبعد ذلك من جيد التشبيه . ثم يأتي المرصفي فلا يزيد على تفسير (الحجاج)
بأنه : العظم الذي ينبت عليه شعر الحجاب . أما وجه التشبيه فبقي في صدر الشاعر :
يروى المبرد قول الحكمي من مقطوعة هي غابة في الابداع وبراعة التصوير :

تدار علينا الراح في عسجدية حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها مها تدأريها في القسي الفوارس
فلغمز مازرت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلائس

فيقول الشيخ المرصفي مانصه : (مازرت) : يريد ما شدت عليه أزرار جيوب
الندامى من الذهب والفضة . يقالون في مهرها (وللماء الخ) : هذا تعريض برؤوس
الفقهاء والأغثاء ليس لها الا الماء تتبرد به « انتهى كلامه » . مع ان ابن هاني لم
يخطر له هذا المعنى ببال عندما رسم هذه الصورة البارعة . والذي يرمي اليه ان تلك

الصور المحلاة بها هاتيك الكؤوس لم تكن لجرد الزينة بل هي بمثابة مقياس لتحديد كمية الخمر وكيفية ما يمزج بها من الماء . فالخمر تكون الى أعناق تلك الصور (وهي منارُ الجيوب ثم تمزج بالماء الى ان تغمر رؤوسها . (وهي مدار القلانس) . وقد كانوا يعنون بمقاييس الخمر وما يمزج بها عنايةً كبيرة .

طهر الراوي

بغداد

كتب المساجد في الشام

نشر الأستاذ محمد أسعد طلس كتاباً في مساجد الشام ، هو (ثمار المقاصد في ذكر المساجد) ، فله الفضل الكبير في تقديم هذه التحفة النفيسة للعالم العربي والاسلامي ، وعندى بعض الكتب المخطوطة في المساجد كتبها علماء شاميون أودواطلاع القراء الأفاضل عليها :

١ - كتاب تحفة الراكع والمساجد في أحكام المساجد : للشيخ تقي الدين ابي بكر ابن زيد الجراعي^(١) الحنبلي الامام العلامة الفقيه القاضي كان رفيق الشيخ علاء الدين المرزاوي في الاشتغال على الشيخ تقي الدين فندس ، وباشر نيابة القضاء بدمشق ، وتوجه الى الديار المصرية ، فاستخلفه القاضي عز الدين الكفاني في الحكم ، وباشر عنه بالمدرسة الصالحية . ومن مؤلفاته الكتاب المذكور ، و (غاية المطلب في معرفة المذهب) ، و (الألفاظ الفقهية) ، و (شرح أصول ابن اللحام) ، و (تصحيح الخلاف المطلق) . وتفصيل ترجمته في غلاف الكتاب المذكور . وتوفي سنة ٨٨٣ هـ - ١٤٧٨ م .

وإلف كتابه في ٥ ذي القعدة سنة ٨٧٣ هـ - ١٤٦٧ م

٢ - تسهيل المقاصد لزوار المساجد : للشيخ شهاب الدين احمد بن العباد الآفسي المتوفى سنة ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م ، وفيه مطالب علمية وتاريخية لا يستهان بها وعندى له كتاب في الحمامات وآخر في آداب الأكل ...

والآثار المذكورة في موضوع المساجد وهي مكتملة لما نشره الأديب الفاضل نرجو ان يوفق آخرون لطبعها ليعم نفعها . وفق الله العاملين .

عباس العزاوي

بغداد

(١) في كشف الظنون في مادة (أصول ابن اللحام) ورد بلفظ (الخزاوي) .

فهرس الجزء التاسع والعاشر من المجلد التاسع عشر

الصفحة

- ٣٨٥ حل وفن العربية بفرضها للأستاذ محمد كرد علي . .
- ٣٩٣ اللغة العربية وسكان الأندلس في القرون الوسطى = هنري بيريس . .
- ٤٠٩ فضل العرب على علم الحيوان (٢) للأب استاس ماري الكرملي
- ٤١٦ القرآن : بحث علمي تاريخي أثري للأستاذ فيليب دي طرازي .
- ٤٢٤ قلعة شقيف أرنون سليمان ظاهر . . .
- ٤٣٤ قبر معاوية بن أبي سفيان للأب جعفر الحسني . . .
- ٤٤٢ دار الحديث السكرية للأستاذ محمد أحمد دهمان .

مخطوطات ومطبوعات

- ٤٨٤ الإمتاع والمؤانسة للأستاذ محمد كرد علي . .
- ٤٥١ ابن الرومي : حياته من شعره شفيق جبيري . . .
- ٤٥٣ سعد زغلول = = =
- ٤٥٤ تذكار جبتي = = =
- ٤٥٦ الحكم المطلق في القرن العشرين = = =
- ٤٥٨ تصحيح نهاية الأرب (جزء الثالث عشر) = عبد القادر المغربي . .

آراء وأنباء

- ٤٦٦ البيان السنوي العام = = =
- ٤٧٣ على ذكر «الفند» للأستاذ عارف النكدي . .
- ٤٧٧ ديوان الحكيم (أبي نواس) طه الراوي
- ٤٧٩ كتب المساجد في الشام عباس العزاوي . . .